الفصل الخامس
مقومات التربية البيئّية
في ضوء السنة النبوية

- **علاقة العناصر الحية بالبيئة في ضوء السنة النبوية.**

١-الإنسان

٢- الحيوان.

٣-النبات

- **علاقة العناصر غير الحية بالبيئّة في ضوء السنة النبوية.**

٤-الماء.

٥-الأرض.

٦-الهواء.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقومات التربية البيئية في ضوء السنة النبوية

مقدمة:

إن العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية علاقة توافقية تبادلية ،وذلك عن طريق الاستجابة للتفاعل المستمر بين الإنسان والبيئة فكلاهما يؤثر في الآخر وهناك من يقول أن البيئة هي التي تؤثر على الإنسان ومقولة ثانية تجعل الإنسان دائما هو المؤثر في البيئة الطبيعية فهو خلق في الكون ليغير البيئة بفنه وعلمه وهو أعلى مراتب الكائنات الحية فيها ولولا فن الإنسان المصري القديم لظلت مصر أرضا يغمرها طمي النيل دون استغلالها"(١)

ولكن هل يمكن أن تقوم حضارة على ضفاف النيل دون تأثير البيئة في الإنسان وهل يمكن أن يكون البترول فعالا كمادة تستخدم في الطاقة بجميع أنواعها إلا إذا تدخل الإنسان فالطبيعة دائما تتأثر بالإنسان وتؤثر فيه .

إلا أن الحياة تقوم بكامل أركانها على مقومات البيئة الطبيعية ومواردها المختلفة والبيئة –غالبا – يكون لها دور الموجه لنشاطات الإنسان وأساليب حياته فالاختلاف بين مستوى معيشة المجتمعات المختلفة يرجع في معظم الأحيان لاختلاف البيئة التي يعيشون فيها وهذا يؤدى إلى تباين نصيب كل فرد من الموارد الطبيعية وما يواجهه من مشكلات وتجارب .

ودائما البيئة التي تمد الإنسان بكل وسائل الحياة من ماء وهواء وتربة زراعية وجبال بها مواد خام وبحار للغذاء والتنقل والزينة فحقيق بالإنسان أن يمد يد العون للبيئة المنهوكة من قبله حتى تكون دائما معطاءة بالخير والنماء .

---

(١) إبراهيم عصمت مطاوع، مرجع سابق ، ص٢٣.

وتقوم علاقة الإنسان بالبيئة على معرفة الإنسان بهذه البيئة الطبيعية بكل جوانبها معرفة فهم وإدراك وتعميق ووعى بكل ما يحيط به لتصبح العلاقة تبادلية ويسير الإنسان وفق ما **أراده الله** لتعمير الكون.

والتربية لم تبخل بدراسة هذه البيئة متمثلة في التربية البيئية التي تحث الفرد على توثيق علاقته ببيئته عن طريق الفهم والوعي والإدراك لكل ما يحيط به ومعرفة كيفية السيطرة والتغلب على المشكلات التي تواجهه من خلال تربية إسلامية نامية في فكره ووجدانه تنبت لتصبح سلوكا يتمثله دون تكلف أو تصنع أو قانون يحكمه ويرهبه فتخرج التوجهات البيئية سليمة تعطى الفرد القدرة على مجابهة أي تفاعل مع بيئته .

وهكذا لعبت التربية دورا خطير على منهج البيئة إذ لا يمكن أن يعيش الفرد متوافقا في بيئته دون أن يكون على معرفة ودراية بمواردها الطبيعية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والدينية والسكانية والتكنولوجية بل والسياسية أيضا .

يتناول الباحث فيما يلي مقومات التربية البيئية في ضوء السنة النبوية من خلال محورين هما :

علاقة العناصر الحية بالبيئة في ضوء السنة النبوية .

- ❖ علاقة العناصر غير الحية بالبيئة في ضوء السنة النبوية.
- ❖ أولا : علاقة العناصر الحية بالبيئة في ضوء السنة النبوية .

[أ] الإنسان :

لقد أكدت السنة النبوية الشريفة على توثيق علاقة هذا الإنسان ببيئته الطبيعية الحية وغير الحية وتعريفه لعناصر البيئة ودعوته لمشاركة تلك العناصر والتجاوب معها والعمل على إصلاحها إن فسدت وتعميرها بحيث تكون في خدمته ترعاه وتطوره وتنميه في كل الاتجاهات.

ولقد خاطبت السنة النبوية: (صحيحي البخاري ومسلم) (*) الإنسان بكل مسمياته وفي كل أحواله وظروفه فخاطبته بالمسميات الآتية:[الإنسان] وردت هذه اللفظة في واحد وستين موضعا في الأحاديث النبوية و[نفس] وردت كلمة نفس في صحيحي البخاري ومسلم مائة وثلاثة عشر موضعا في الأحاديث النبوية، كما ذكرت كلمة [نفس] مسندة إلى الضمائر المختلفة [نفسك] وردت هذه اللفظة في واحد وثلاثين موضعا في الأحاديث النبوية و[نفسه] وردت هذه اللفظة في مائة وتسعة وسبعين موضعا في الأحاديث النبوية ،[نفسها]وردت هذه اللفظة في واحد وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية و[نفسى] وردت هذه اللفظة في مائتين واثنين وعشرين موضعا في الأحاديث النبوية، [المرء]وردت هذه اللفظة في اثنين وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية،[امرؤ] وردت هذه اللفظة في ثلاثة عشر موضعا في الأحاديث النبوية،[امرأ] وردت هذه اللفظة في ثمانية عشر موضعا في الأحاديث النبوية [امرئ] وردت هذه اللفظة في ستة وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية [العبد] وردت هذه اللفظة في مائة وثلاثة أحاديث نبوية ، [عبدنا] وردت هذه اللفظة في ستة أحاديث نبوية ، [عبده] وردت هذه اللفظة في خمسين موضعا في الأحاديث

(*) اعتمد الباحث على الإحصاء العددى الوارد في أسطوانة المكتبة الألفية الإصدار ١.٥ (الأردن : مركز التراث لأبحاث الحاسب الإلى ،١٩٩٩م) .وذلك في هذا الفصل .

النبوية [أناس] وردت هذه اللفظة في ثمانية وخمسين موضعا في الأحاديث النبوية ،[الناس] وردت هذه اللفظة في ألف ومائتين وسبعين موضعا في الأحاديث النبوية ،[القوم]وردت هذه اللفظة في مائتين واثنين وستين موضعا في الأحاديث النبوية ،[قومك] وردت هذه اللفظة في سبعة وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية ،[قومه] وردت هذه اللفظة في ثلاثة وسبعين موضعا في الأحاديث النبوية ،[قومهم] وردت هذه اللفظة في اثنى عشر موضعا في الأحاديث النبوية [قومى]وردت هذه اللفظة في سبعة وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية [قومنا]وردت هذه اللفظة في ستة عشر موضعا في الأحاديث النبوية ،[العباد]وردت في هذه اللفظة في عشرين موضعا في الأحاديث النبوية ،[عبادك]وردت هذه اللفظة في عشرة أحاديث نبوية [عباده] وردت هذه اللفظة إلى واحد وعشرين موضعا في الأحاديث النبوية [عبادى] وردت هذه اللفظة في ثمانية وعشرين موضعا في الأحاديث النبوية ، [الأنفس] وردت هذه اللفظة في حديثين فقط في صحيح البخاري ،[أنفسكم] وردت هذه اللفظة في ثلاثة وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية ، [أنفسهم] وردت هذه اللفظة في تسعة وأربعين موضعا في الأحاديث النبوية ، [أنفسنا]وردت هذه اللفظة في ثلاثة عشر موضعا في الأحاديث النبوية ،[أنفسهن] وردت هذه اللفظة في تسعة أحاديث نبوية كل هذا يدل على مدى تقدير السنة النبوية للإنسان فقد ذكرته بمسمياته المختلفة لترشده إلى طريق الصواب وما فيه صلاح لدنياه وآخرته ، كما نظمت السنة النبوية علاقة الإنسان بالبيئة أفضل تنظيم ، كما أن تنظيم علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية الحية وغير الحية وعلى رأسها الإنسان نفسه تعد من أهم العناصر الحية التي توليها التربية الإسلامية اهتماما عظيما محققة لها تنظيما واعيا وإدراكا كبيرا

ولقد ارتكز تنظيم السنة النبوية لعلاقة الإنسان بنفسه في بيئته الطبيعية على أسس إسلامية كان من أهمها :

١. النظافة العامة
٢. الوسطية والاعتدال والبعد عن التطرف والإسراف
٣. صيانة البيئة وإصلاحها من الفساد.
٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويمكن تناول هذه الأسس بشيء من التفصيل :-

١-النظافة العامة :-

النظافة أمر مرغوب فيه ليس من الناحية الجمالية والذوقية فحسب وإنما من الناحية الصحية أيضا إذ يترتب على غيابها أضرار صحية بالغة الخطورة .

اكتسبت النظافة أهمية كبيرة فكر علماء التربية الإسلامية لما لها من أهمية في حياة الإنسان وتجعله يتفرغ لتعمير الأرض وفقا لما قرره الله –سبحانه وتعالى – والنظافة تكتسب أهمية كبيرة خاصة بعد أن عرف الإنسان أن الوقاية من الأوبئة والأمراض أصبح أمرا حيويا والنظافة العامة ليست محتاجة لدراسات أو تخطيط مسبق أو إعداد دراسة جدوى بل النظافة تنبع مع تربية الإنسان، وتبنى حب النظافة كسلوك للإنسان منذ مولده هو الهدف الذي لابد أن يتمثل الإنسان به ويحذو نحوه .

ولقد تبنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على عاتقه مبدأ النظافة كعامل هام في حياة المؤمن بصفة خاصة وحياة الإنسان بصفة عامة وذلك من خلال أقواله وأفعاله وتقريره فكان سلوكه تطبيقا عمليا على مبادئه فعندما يتحدث عن الوضوء والطهارة كان

obeikandl.com

يتمثل ذلك عمليا ليقتدي به المؤمنون ليعيشوا في صحة قوية تدعوهم للجهاد في سبيل الله وإعداد المؤمن القوى النظيف صحيح البنية الخالي من الأمراض والأوبئة .

فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحث على مداومة الوضوء لما يترتب عليه من نظافة الإنسان نظافة شاملة لكل أجزاء جسمه ، لذلك كان الوضوء شرط قبول الصلاة حيث قال (صلى الله عليه وسلم) " لا تقبل صلاة بغير طهور" (١) ، " ولا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ " (٢) فشرط أساسي لقبول الصلاة هو التطهر والنظافة الجسدية ليكون الجسم دائما في حالة نشاط بعيدا عن الأمراض الجسدية ، فالوضوء يصلح الجسد والصلاة تصلح الروح.

وعند حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن النظافة كان يتحدث عنها بصفة عامة وشاملة لكل أعضاء جسم الإنسان فتلف أي عضو من الأعضاء يعد تلفا للجسم كله فالإنسان يتأثر تأثرا عاما بأقل الأمراض وأصغرها شأنا فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ "(٣) يتبين من خلال الحديث السابق أن الجسد كل متكامل وأن أي عضو فيه يتلف سوف يؤثر على باقي الجسد وهذا دليل على الرعاية الصحية للإنسان وأهمية إدراك الإنسان لكل ما يصيبه ومحاولة إصلاحه ، فالإنسان هو العنصر الأهم في التربية البيئة وعليه قامت أسس التربية البيئية .

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص ٦٣.
(٢) المرجع السابق ، ج١، ص٦٣.
(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١١٩.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (١) وقال ﷺ أيضا " المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر "(٢).

نعم هذه تمثل حقيقة علمية حيث إن أعضاء الجسد تتأثر بعضها ببعض فعندما يمرض عضو من الأعضاء يتداعى له باقى الجسد بالسهر والحمى ويقصد بالسهر والحمى مراعاة العضو التالف فمن المعروف عندما يصيب الإنسان فيروس أو مرض معين أو جرح بسيط مثلا تتجمع كرات الدم البيضاء في جسم الإنسان حول الفيروس وتحيطه بعيدا عن الجسم ثم تقوم بقتله أو عزله .

ويتضح أيضا حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على صحة المؤمنين فاتخذ وسيلة ضرب الأمثال في الود والتراحم والتعاطف مثل الجسد الواحد الذي إذا أصيب بمكروه اجتمع الباقى على راحته.

وليقينه (صلى الله عليه وسلم) بضرورة شمول النظافة للجسم كله فإن كان يدعو إلى نظافة كل عضو من أعضاء الجسم فهو يحرص على نظافة اليدين وكان يغسل كفيه ثلاث مرات في أول الوضوء عن أوس بن أوس الثقفي –رضى الله عنه – قال رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) توضأ فاستوكف ثلاثا " (٣) وللتأكيد على الحرص قى نظافة الجسد أن يكون غسل الوضوء ثلاث مرات حتى يتم التطهير والنظافة الشاملة للجسد وبالتالى لا تصيبه الأمراض .

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٣٨.
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٤ ، ص١٩٩.
(٣) السيد سابق ، فقه السنة، المجلد الأول ، (القاهرة : مكتبة دار التراث ، ١٣٦٥هـ) ، ص ٤٠.

openkandil.com

وقال رسول الله أيضا " إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ ثُمَّ لِيَنْثُرْ وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ "(١). ولأن الأنف موضع تنقية الميكروبات عند دخول الهواء لجسم الإنسان فوجب على الإنسان أن ينظفها وينثر ما بها من مواد تضر جسم الإنسان عن طريق الزفير وبذلك يعتبر الأنف المصفاة الأولى للهواء الداخل إلى الرئتين وذلك عن طريق التنقية التامة للهواء وطرد ثانى أكسيد الكربون والحصول على الأكسجين اللازم لجسم الإنسان عن طريق عمليتى الشهيق والزفير وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (من استجمر فليوتر) يقصد بها الاستنجاء بالحجارة المعرضة للشمس على أن يكون الاستنجاء بعدد فردى فمن الوهلة الأولى يتقزز بعض الأفراد من الاستنجاء بالحجارة ويقولون كيف ذلك ويوضح الباحث إعجاز قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الآتي :

أولا : الحجارة المعرضة للشمس تكون نقية طاهرة وبالتالى لن يحدث تلوث للإنسان .

ثانيا : هذه الحجارة بعد استعمالها سوف تكون معرضة للشمس أى سوف تقتل الميكروبات العالقة بها ولن تكون بيئة صالحة لتكون الفيروسات .

ثالثا : قلة المياه في البيئة العربية مما حدا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) لإيجاد طريقة نظيفة أخرى لنظافة جسم الإنسان وطريقة طاهرة .

رابعا : الاستنجاء في بيئة الماء قد ينتج عنه ملوثات وبيئة صالحة لتكون الفيروسات والميكروبات وهذه المياه يمكن أن تستعمل في مياه الشرب وري الأراضى الزراعية والدليل على ذلك انتشار البلهارسيا في الريف المصرى نظرا للتبول أو التبرز في مصارف المياه والترع .

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١، ص ٧٢.

وهذا التحليل ليس دعوة لإمساك الحجارة والاستنجاء بها الآن بل وجدت وسائل حديثة أرقى ولكن يحلل الحديث في ضوء الملابسات التي نشأ فيها وهو حرص الرسول على نظافة الإنسان والرخصة المباحة له بالاستنجاء بالحجارة في حالة ندرة المياه أو وجود الفرد في البيئة الصحراوية فالدين يسر وليس عسرا ، وكل هذا يدل على حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافة الإنسان التامة وقوله (فليوتر) يدل على تأكيده على النظافة فالعدد الفردى إما (١ ، ٣ ،٥ ،....) فبالطبع المرة الأولى لن تنظف جيدا فإذا أراد المستنجى الانتهاء في المرة الثانية يكون خالف أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبالتالى يحرص على المرة الثالثة وبذلك يدل على تأكيد الرسول على النظافة التامة .

وقوله في الحديث السابق [**وإذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه فإن أحدكم لا يعلم أين باتت يده**]، فالإنسان في أثناء النوم يكون غير مدرك موضع يديه فقد تكون هذه اليد قد لامست الميكروبات أو اتجه بها إلى منطقة (**القبل أو الدبر**) أو إلى مناطق أخرى ملوثة ،أو كان في حالة جماع مع زوجته وبالتالى قد لامس مناطق قد تكون موضع ميكروبات وغير ذلك .

فالوضوء على سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبدأ بغسل اليدين إلى الرسغين كبداية للوضوء الصحيح وحرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافة باقي الأعضاء لأن اليد تستخدم في نظافة ما تبقى من الجسم أو أعضاء الوضوء وبالتالي فهي أولى بالعناية لأنها موضع الاستعمال ،وقد دعا الرسول إلى نظافة اليدين وتقليم الأظافر وقصها لأنها موطن الميكروبات والإصابة بالأمراض التي قد تكون مميتة .

كذلك حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافة الفم واستخدام السواك لأن المسلم لو حفظ وضوءه من نواقضه فإنه لا يستطيع الصلاة وفوه مليء ببقايا الطعام فالواجب عليه أن يتمضمض وينظف فاه ويخلل أسنانه ليخرج من بينها بقايا الطعام التي إذا تركت فسدت وحملت الميكروبات وسببت الروائح الكريهة وهو في ذلك يتخذ أسلوب الرسول (صلى الله عليه وسلم) وطريقته وقد عبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك وقال : "عشر من الفطرة :قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء ،قال زكريا :قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ،وزاد قتيبة :قال وكيع : انتقاص الماء يعنى الاستنجاء"(١).

فقد حدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) تسعة أشياء من الفطرة السليمة وهي :

قص الشارب : ففي قص الشارب فوائد صحية فهو إن زاد عن الحد فقد يعيق عملية دخول الهواء إلى داخل الأنف وخاصة في حالة النوم مما يقلل كمية الأكسجين التي تعين الإنسان على الحياة فبدون الأكسجين لا يستطيع الإنسان التنفس .

إعفاء اللحية والاهتمام بالشعر : وهي مظهر الرجولة وعدم التشبه بالنساء وهي وقار للرجل وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس معنى إعفاء اللحية تركها دون تهذيب أو تنسيق بل الحرص دائما على نظافتها وتهذيبها لأن الله جميل يحب الجمال .فعادة الكفار إذا تركوا لحيتهم يتركونها وقد امتلأت بالجراثيم وأصبحت وبالا على صاحبها فالرسول هنا (صلى الله عليه وسلم) لا يريد لحى كثيفة قذرة بل يريد لحية نظيفة

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ،مرجع سابق،ج١ ، ص٢٢٢.

obeikandi.com

مهذبة تدل على خلق المسلم وطبيعته .كذلك أوصى الرسول بنظافة الرأس ومداومة غسل الشعر لأن إهمال نظافة الشعر يؤدى إلى قذارته وتجمع الحشرات به التي تنقل إلى الجسم أمراضا خطيرة . و"عن **الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ كَيْفَ الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَقُلْتُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ ثَلَاثَةَ أَكُفٍّ وَيُفِيضُهَا عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ فَقَالَ لِيَ الْحَسَنُ إِنِّي رَجُلٌ كَثِيرُ الشَّعَرِ فَقُلْتُ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَكْثَرَ مِنْكَ شَعَرًا"**(١) **وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) " من كان له شعر فليكرمه"**(٢). وإكرام الشعر الذي أمر به رسول **الله (صلى الله عليه وسلم)** لا يقتصر على تنظيفه وغسله فحسب بل يمتد إلى تهذيبه وتسريحه إذ أنه **(صلى الله عليه وسلم)** لما رأى رجلا شعثا قد تفرق شعر رأسه قال :" **أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره "**(٣) وهذا دليل على حرص **الرسول (صلى الله عليه وسلم)** على نظافة شعره لأنها من أكثر الأجزاء تعرضا للبيئة الخارجية وبالتالي قد يصيبها الكثير من الأمراض فوجب غسلها وتنظيفها .

٣-**السواك : (مطهرة للفم مرضاة للرب)** فالأسنان جزء من الفم وهي مسئولة عن تقطيع الطعام ومضغة وبالتالي يتراكم عليها بقايا الطعام وينتج عن ذلك تحللها عن طريق البكتريا وتكون مواد تضر الأسنان وقد تؤدى في النهاية إلى التسوس ورائحة الفم الكريهة وتكون طبقة من الجير تضر بهيكل الأسنان وقد أمرنا الرسول الكريم بالسواك ونظافة الفم والسواك هو شجرة تؤخذ أعوادها وتصبح صالحة لإزالة الميكروبات بين الأسنان كما أنها تترك رائحة طيبة لا يتأذى منها الآخرون وكل الأبحاث الحديثة الطبيعية مهما وصلت من رقى في اختراع أنواع مختلفة من معاجين الأسنان إلا أن السواك يأتى على مقدمة هذه

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١، ص١٠١.
(٢) الإمام أبو داود ، مرجع سابق،ج٤ ، ص ٧٦.
(٣) المرجع السابق ، ص٧٦.

الأساليب فليس من الغريب أن تسمع عن معجون أسنان مكوناته من عود السواك ومستخلص منه ،كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستاك عند الوضوء وعند الصلاة وعند قراءة القرآن وعند الاستيقاظ من النوم وإذا أخذ مضجعه فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ " كما قَالَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ"(١) .كما حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على مدى حبه للسواك لدرجة أن الصحابى فهم الرسول عندما نظر إلى الصحابى وهو يستاك عَنْ عَائِشَةَ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إلى صَدْرِي وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ فَأَبَدَّهُ (صلى الله عليه وسلم) بَصَرَهُ فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ ثُمَّ دَفَعْتُهُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنَّ بِهِ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ"(٢) ،وقد سئلت السيدة عائشة – رضى الله عنها – بأى شيء كان يبدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا دخل بيته قالت بالسواك ولقد بلغ من حرصه (صلى الله عليه وسلم) على ذلك أنه كان يستخدم السواك وهو صائم فعن عامر بن ربيعة قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يستاك وهو صائم مالا أعد ولا أحصى(٣). وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحرص على تنظيف السواك بعد استعماله لحديث عائشة – رضى الله عنها- : " كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستاك فيعطينى السواك

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٢ ،ص ٦٨٢.
(٢) المرجع السابق ، ج٤ ، ص١١٣.
(٣) الإمام النووى ،رياض الصالحين ، مرجع سابق، ص ٣١٧.

لأغسله " (١) وحرص الرسول (صلى الله عليه وسلم)على نظافة فمه من الملوثات التي قد تضر بالأسنان وتسبب التسوس وهو ما يدعو إليه علماء العصر الحديث .

وفي نظافة الفم بالنسبة للإنسان دعوة للمحافظة عليه شخصيا وهو العنصر الهام في التربية البيئية وعليه يقوم الإدراك والوعي بعناصر البيئة الأخرى وهو ما تدعوه إليه التربية البيئية

٤-استنشاق الماء :

كما حرص الرسول على نظافة فيه ، فقد اهتم بنظافة أنفه لأن معظم الأمراض تنتقل إلى الإنسان بالرذاذ تصل إلى الأنف أولا ثم تنتقل إلى داخل الجسم لذلك كان الاستنشاق من سنن الوضوء .

عن أبى هريرة يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" يقول من استنشق فليستنثر ومن استجمر فليوتر "(٢) عن عبد الله بن زيد ابن عاصم قال رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتوضأ بالجحفة فمضمض ثم استنشق ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا ثم مسح رأسه بماء غير فضل يديه ثم غسل رجليه حتى أنقاهما"(٣) .

كما حث الرسول(صلى الله عليه وسلم) المسلمين على الاستزادة والإكثار من الاستنشاق لأن هذا الغسيل المتكرر يجرف معه الميكروبات إلى الخارج ويقى الجسم من الأمراض فقد قَالَ(صلى الله عليه وسلم) أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا " (٤) وفي هذا طهارة للأنف لأنها معرضة للتلوث الهوائي

(١) السيد سابق ، مرجع سابق، ص٤٠ .
(٢)الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق،ج١، ص٢١٢.
(٣) المرجع السابق ، ج١ ، ص٢١١.
(٤) الإمام الترمذى ، مرجع سابق،ج٢ ،ص٣٢١.

ومـا أكثـره في هـذا العصـر، فـالهواء بـه الكـثير مـن الميكروبـات العالقـة في الجـو ناهيـك عن الملوثات الحديثة من أول أكسيد الكربون حتى مداخن المصانع ومحارق القمامة.

٥-غسل البراجم :

والبراجم هي "السلاميات التي تبرز في ظهر الكف إذا قبض القابض كفه"(١) ومما روى في ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :"تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة"(٢)وحرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافة البراجم عن طريق التخلل وغيره يدل على حرصه على النظافة الشاملة لليد وعدم تعريضها للتلوث فجعلها من أساسيات الفطرة السليمة في نظافة الجسم من الأمراض والأوبئة وخاصة ما يلحق اليد لأنها من أكثر المناطق تعرضا للتلوث وبها يحدث الاحتكاك مع المريض والسليم وبالتالي الحرص على نظافة الكف وكذلك ظهر الكف (السلاميات) هو حرص على سلامة الجسم كله.

٦- نتف الإبط :

في الإبط تتجمع ملايين الميكروبات العالقة بالشعيرات الموجودة بالإبط نتيجة حركة الإنسان، وبالتالى ينتج العرق مرتبطا بالشعر وهو يمثل رائحة كريهة للإنسان وتنافس شركات التجميل على صنع مذيل للعرق وخاصة تحت الإبطين يدل على مدى قوة هذه الرائحة ولكن المسلم الحريص دائما على نظافة إبطه فهو ينتف الشعر لأنه بيئة تكون الميكروبات ثم يغسل تحت إبطه وبالتالى لا تتجمع الروائح الكريهة التي ينفر منها الناس والتي قد تضر بالإنسان وتتكون بها حبيبات جلدية وأمراض جلدية أخرى كل هذا يؤكد

(١) ابن منظور ، مرجع سابق، ج١، ص٤١٣.
(٢) الإمام الطبرانى ، مرجع سابق، ج٧ ، ص٢١٥.

حرص الرسول على نظافة جسده بكافة أجزائه واكتشاف عملية الميكروبات وكثرتها بالملايين لم يكن يعلمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكن هو لا ينطق عن الهوى بل الله يرشده لأنه يعلم الإنسان في جميع حالاته ثم يضع مرشدا لصيانته سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة .

٧- حلق العانة :

العانة : "مَنْبِتُ الشَّعر من قُبُل المرأَة والرَّجُل، والشَّعْر النابِت عليها يقال له الشِّعْرَةُ"(١) والعانة موضع تجمع الشعر حول الأعضاء التناسلية وحلقها هو نظافة تامة لمنطقة الأعضاء التناسلية حيث تجتمع الميكروبات سواء الخارجية أو الناتجة من الأعضاء التناسلية مثل (البول والبراز والمنى ودم الحائض ...وغيرها من الملوثات) التي قد تعلق بالشِّعْرَةُ الموجودة حول الأعضاء التناسلية مما يسبب للإنسان بعض الأمراض مثل (الزهرى والإيدز والالتهابات والأمراض الجلدية ...وغيرها)، وحلق العانة سلوك نبوي سليم كان يحرص عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) لنظافة الأعضاء التناسلية .

٨-الاستنجاء (انتقاص الماء) :

لا يكفي حلق العانة لنظافة الأعضاء التناسلية بل حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافتها قبل كل صلاة وبالتالى لن يقترب إليها ميكروب أو فيروس ؛ فعندما يغسل الفرد كوبا خمس مرات يوميا فسوف تجده نظيفا نظافة تامة فكيف بغسل الأعضاء التناسلية خمس مرات يوميا وإذا لم يتوفر الماء فهناك البديل وهو الاستجمار وهو التطهر بالحجارة المعرضة للشمس لإزالة ما يعلق بالأعضاء التناسلية من ميكروبات وجراثيم.

---

(١) ابن منظور ، مرجع سابق، ج١، ص٢١٣.

٩- المضمضة :

كما يحرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافة فيه لأنه مدخل الطعام للجسم وإذا كان المدخل نظيفا دل على صاحبه فنظافة الفم هي نظافة للجسم وخلوه من الأمراض ومعظم الأمراض التي يعانى منها الإنسان تأتى عن طريق الفم وهي الأمراض خطيرة بدءا من تناول أطعمة ملوثة بفيروسات مختلفة إلى بكتريا ضارة ينتج عنها أمراض متنوعة مثل الالتهاب الكبدي الوبائي وغيره من الأمراض ،

فقال صلى الله عليه وسلم) : "مضمضوا من اللبن فإن له دسما "(١) وعن "أنس بن مالك قال " حلب رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة وشرب من لبنها ثم دعا بماء فمضمض فاه وقال إن له دسما"(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فتسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن "(٣) وقال أيضا (صلى الله عليه وسلم):"إن الشيطان حساس لحاس(أىكثيراللحس) ، فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفي يده ريح غمر (أى زهومة لحم وريحته) فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه "(٤) ومن جملة الأحاديث السابقة يستنتج أنها تؤكد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على نظافة فمه من الدهون التي تعلق به لأنها إذا بقت فترة طويلة بالفم نتج عنها تكون الميكروبات وبالتي تصبح رائحة الفم كريهة فضلا عن أن الأمراض قد تصيب الأسنان أو اللثة نتيجة تكون هذه البكتريا الضارة .

---

(١) الإمام القزوينى ، مرجع سابق ، ،ج١ ، ص١٦٧.
(٢) المرجع السابق ، ج١، ص ١٦٨.
(٣) الإمام البزار (:: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، ت ٢٩٢هـ) ، البحر الزخار، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، ج٢ ، (المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٩هـ) ، ص٢١٤.
(٤) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق،ج٤، ص١٣٢.

ويتبين من خلال العرض السابق حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على النظافة الفردية للإنسان وفي حرصه على نفسه حرص على نظافة البيئة فهو معنى بنظافة البيئة التي يعيش فيها حتى لا يعرض ذاته إلى الملوثات البيئية المتنوعة وبذلك تلبى دعوة التربية البيئية في الحفاظ على البيئة من الملوثات المختلفة ، ولا يعنى أن يهتم الإنسان بنفسه دون اهتمام بالبيئة المحيطة ؛ فمهما بلغ الإنسان من النظافة الشخصية ، فلن يحمى نفسه من الأخطار البيئية التي تحيط به فالحرص على نظافة البيئة هو حرص على نظافته الشخصية ، بالإضافة إلى ذلك فقد حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالغسل لجميع أعضاء حماية تامة ونظافة شاملة .

لقد حث الرسول على نظافة البدن كله بالغسل الدائم خلال الأسبوع ويفضله خاصة يوم الجمعة عن الاكتفاء بالوضوء فيقول (صلى الله عليه وسلم)"**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ** " (١) "**و قَالَ النَّبِيُّ** (صلى الله عليه وسلم) **لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى**"(٢) كما حرص على التدقيق والتفصيل في كيفية الغسل من الجنابة فَغَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ عَلَى فَرْجِهِ وَغَسَلَهُ بِشِمَالِهِ ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الْأَرْضَ فَدَلَكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مِلْءَ كَفِّهِ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ مَقَامِهِ دَلِكَ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ " (٣) و "قَالَ (صلى الله

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١، ص ٢٩٩.
(٢) المرجع السابق ، ج١،ص٣٠٨.
(٣) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٥٤.

عليه وسلم) اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا وَأَصِيبُوا مِنَ الطِّيبِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا الْغُسْلُ فَنَعَمْ وَأَمَّا الطِّيبُ فَلَا أَدْرِي" * (١)

وجملة الأحاديث السابقة تدلل على أهمية الغسل لأنه طهارة للجسم كله وتأكيد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على يوم الجمعة ليس معناه عدم الغسل في باقي أيام الأسبوع ولكنه ذكره يوم الجمعة هو من باب تحديد الفترة التي لا يجب على الناس ألا تطيل عليها وهي سبعة أيام ومن زاد عن ذلك أصابته الأمراض والأوبئة وكذلك بيئة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيئة صحراوية يندر فيها الماء فعدم ذكر الرسول باقى أيام الأسبوع حتى لا يشق على المسلمين البحث عن المياه والتطهر والغسل بها وكذلك يوم الجمعة هو يوم اللقاء الأسبوعي لسماع الخطبة الأسبوعية وهو لقاء المسلمين مع بعضهم البعض ولابد أن يكون المسلم في هذا اللقاء في أفضل زينة وأطهر ثياب وأحسن ريح .

نظافة الملبس والماكل والمشرب:

ولا يعنى بنظافة جسمه دون العناية بنظافة ثيابه لذا توجه السنة النبوية المسلمين إلى الحرص على مظهرهم العام ليبدوا في الصورة اللائقة بجلال الإسلام ونقائه فقد رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلا وعليه ثياب غير نظيفة ، فقال :"أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه "(٢).

(١) المرجع السابق،ج١، ص٣٠٢.
(٢) الإمام أبو داود ، مرجع سابق، ج٤ ص ٥١

وجاء رجل إلى **النبي (صلى الله عليه وسلم)** في ثوب دون (قذر) فقال له النبي : ألك مال ؟قال : نعم ، قال من أى المال؟" **قال :أتانى الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق ،فقال (صلى الله عليه وسلم) "فإذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته"**(١).

إن رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** في دعوته إلى النظافة الشاملة لكل جوانب الحياة نظافة البدن ، نظافة الملبس ، نظافة البيوت ونظافة الطرق كان مدركا لأهميتها في حماية الإنسان من الأمراض التي تنجم عن إهمال النظافة كما كان حريصا على توجيه المسلمين إلى ضرورة الوقاية من الأمراض وتجنب الإصابة بها حتى يظل الجسم قويا سليما خاليا من العلل ؛ ويترتب على هذا الاهتمام نظافة البيئة بكل مكوناتها .

وبالإيمان يستطيع الإنسان أن يعالج مشاكله البيئية وشئون حياته فلقد سئل بعض الرجال **الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)** عن ما يفعلونه وما لا يفعلون فقال : **"آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الإيمان بِاللَّهِ ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ فَقَالَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُقَيَّرِ "**(٢).

فشرط أساسى أن يكتمل إيمان الفرد أن يبتعد عن الدباء هو إناء يصنع من القرع والحنتم هو إناء يصنع من طين وشعر ودم والنقير هو جذع الشجرة ينقر ويتخذ وعاء والمقير هو إناء يطلى بالزفت والقار ،كل هذا يؤكد حرص **الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)** على صحة الإنسان من خلال نهية عن هذه الأدوات التي ثبت أنها تضر بالإنسان وتسبب له الأمراض المختلفة الناتجة عن تعفن هذه الأوانى والتي كانت تستخدم قديما لحفظ وتخمير

---

(١) المرجع السابق،ج٤، ص ٥١.
(٢) المرجع السابق ،ج١ ، ص ٤٦.

الخمور ونقلها ونهيه عن تغير طبيعة الأشياء التي أوجدها الله – عز وجل – لها والتي تسبب ضررا للبيئة وتغير من طبيعتها(١).

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوجه المسلمين إلى الحرص على عدم نقل الأمراض والعدوى فيما بينهم فكان يقول " لا عدوى ولا طيرة ولا غول "(٢) لذلك دعاهم إلى الامتناع عن دخول البلد الذي تفشى فيه المرض منعا للإصابة به ونقل عدواه وإلى الامتناع عن الخروج من البلد الذي تفشى فيه المرض منعا لانتشاره ونقله من البلد المصاب إلى البلاد الآمنة قال (صلى الله عليه وسلم) " الطاعون رجز أو عذاب – أرسل على بنى إسرائيل – أو على من كان قبلكم – فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه (٣) وروى أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) "إنا قد بايعناك،فارجع "(٤). وهذا نجده حديثا عندما طبقت قوانين الحجر الصحى على عدة دول مثل الصين وكندا وغيرها في مارس ٢٠٠٣م مما أصابها من مرض حديث وهو مرض الالتهاب الرئوي الحاد المسمى (السارس) القاتل وقد تم تطبيق ذلك في جميع الموانئ والمطارات تجنبا لتفشى هذا المرض في العديد من الدول الأخرى فإذا حرص المسلم على تطبيق أقوال الرسول وأفعاله لما انتشر معظم الأمراض الوبائية في العالم.

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريصا على نظافة البيئة وسلامتها من انتشار الأمراض والأوبئة بها لذلك دعا إلى تجنب انتقال العدوى ونقل الأمراض بين الناس

---

(١) ابن منظور ، ، مرجع سابق ، ج٥،ص٢٢٨.
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ، ج٤، ص ١٤٣.
(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .
(٤) المرجع السابق ص ١٥٢.

وفي نفس الوقت فقد دعا إلى التداوى ومعالجة الأمراض التي وقعت الإصابة بها بالفعل لئلا يستفحل خطرها ويزداد انتشارها فكان (صلى الله عليه وسلم) يقول " **لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله عزوجل** "(١) ففي فترة من الفترات انتشر مرض الإيدز (**فقد المناعة الطبيعة**) نتيجة لانتقال العدوى من المريض للسليم والبعد عن التعاليم الدينية السمحة .

وقد أدرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الله لطيف ورحيم بعباده فأودع الدواء لكافة الأدواء فيما خلق من النباتات والأعشاب الطبيعية فلقد مر على الإنسان حين من الدهر ظل فيه هدفا سهلا للأمراض والأوبئة إلى أن هداه الله "فاتجه تفكيره إلى أن يستغل ماوهبته الطبيعة من ثروات متنوعة فعرف العلاج بالأعشاب وكون من الطبيعة المحيطة به أول صيدلية يلوذ بها ليجد الدواء الشافي"(٢)

فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحث على التداوى من الأمراض وعلى استخدام النباتات الطبيعية في ذلك ومن ذلك أنه كان " **يقول عليكم بِالسَّنَى وَالسَّنُّوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السأم قيل يا رسول الله وما السأم قال الموت** "(٣) ونبات السنا عشب معمر واسع الانتشار في صحراء الوطن العربى وصحراء الهند وقيل السنوت : الشبت(٤) وروى من حديث أسماء بنت عميس ، "**قالت قال لى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بماذا كنت تَسْتَمْشِينَ قلت بِالشُّبْرُمِ قَالَ حَارٌّ جَارٌّ ثُمَّ اسْتَمْشَيْتُ بِالسَّنَى فَقَالَ لَوْ كَانَ**

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٢٩.

(٢) سعد محمد خفاجى ، النباتات الطبية وإطالة عمر الإنسان ، (الإسكندرية : مركز الدلتا للطباعة ، د.ت) ، ص ٥

(٣) أحمد الكناني، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ،تحقيق محمد المنتقى الكشناوى ، (ج٤؛ بيروت :دار العربية ، ١٤٠٣هـ) ،ص٥٧.

(٤) كمال الدين حسن البتانونى ، نباتات في أحاديث الرسول (قطر: إدارة إحياء التراث ، ١٩٨٦) ، ص١٩٤ .

شَيْءٌ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ كَانَ السَّنَي وَالسَّنَي شِفَاءٌ مِنَ الْمَوْتِ" (١) وكلمة تستمشين تعنى كيفية المعالجة من مرض يشبه الإسهال نتيجة الحرارة الشديدة ويعالج عن طريق الأعشاب وفي هذا دعوة للمحافظة على البيئة النباتية فالإنسان يستفيد منها بمكوناتها وأعشابها الطبيعية في التداوي وعلاج الكثير من الأمراض .

كما أنه تتطرق السنة النبوية إلى قضية هامة ثبت علميا أنها في العصر الحديث من أخطر الأشياء التي تنقل الأمراض وتنشره وهو قضية البول وقد وردت لفظة (البول) في ثلاثة عشر موضعا في الأحاديث النبوية فقد أمر الرسول من الاستبراء من البول وهو أن يتبوأ ويختار لبوله مكانا سهلا ومخصصا بعيدا عن طريق الناس حتى لا يرجع رشاش البول عليه كما أمر **الرسول الكريم** بالاستبراء من البول"أى يفرغ بقية البول وينقى موضعه ومجراه حتى يبرئهما لأن عدم الاستبراء من البول فيه دخول إلى النار وعدم رضا الله على هذا الإنسان.

كما نهي رسول **الله (صلى الله عليه وسلم)** عن التبول في الأماكن المكشوفة ومن ذلك الترع ومصادر المياه والحقول والمزارع وغيرها فقد روى ابن عباس(**رضى الله عنهما**) عن **النبي (صلى الله عليه وسلم)** أنه مر بقبرين يعذبان ، فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى في النميمة ."(٢) وفي عدم الاستتار من البول هو نوع من التلوث الأخلاقي والتلوث البيئي بصفة عامة وهذا يؤدى إلى الأمراض المستوطنة ونشر رائحة التعفن مما يصيب بالتلوث الهوائي.

---

(١) الإمام القزوينى ، مرجع سابق ،ج٢،ص١٤٥.
(٢) المرجع السابق ،ج٤ ، ص ١٩٦.

وفي تغليظ النهي من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعظم جزاءه من قبل الله تعالى مما يدل على الدعم الكبير من السنة النبوية للمحافظة على البيئة من الأخطار التي تحدق بها مع أن البيئة التي كان يعيش فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي البيئة الصحراوية وأن البول من الممكن أن لا يمثل قضية هامة ولكن الرسول الكريم أراد أن يعلم الأجيال القادمة مبادئ التربية البيئية بمفهومها الحديث .

كما أن القعود من قواعد التبول حتى لا ينشر بوله على مساحة كبيرة فقد قعد النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته والحديث يدل على تحريم التخلي في طرق الناس وظلهم لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذاره كما نهي عن البول في الجحر أي الثقب لأنه مأوى الهوام المؤذية فلا يؤمن أن يصيبه مضرة منها"(١) .

والتبول في وضع القعود أو الجلوس هو نوع من الحماية للإنسان من أمراض التي تتعلق بالبول فعند الجلوس ينتشر بوله في مكان صغير وبالتالي يحافظ على النظافة على قدر الإمكان وليس معنى هذا أن تكون دعوة للتبول في الطرق والمرافق العامة ولكنها دعوة لمن لا يمتلك تلك المقومات الكافية للحفاظ على النظافة مثل المراحيض ودورات المياه العامة وهي منتشرة بكثرة في الدول الفقيرة ، فالتشريع موجود مادام هناك فئة لا يستخدمون الطرق الصحية في التخلص من البول والغائط.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب فقال كيف يفعل يا أبا هريرة قال يتناوله تناولا "(٢) لأن تعرضه للماء الدائم يعكر هذا الماء ويجعله نجسا ولكن عندما يتناوله تناولا فإنه يحرص على نظافة هذا الماء ، كما أن هذا ليس

(١) الإمام محمد شمس الحق، مرجع سابق، ج١، ص٣٣.
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١ ، ص ٢٣٦.

خوفاً من التعكير والنجاسة فقط ولكن خوفا على الماء الدائم وحرص الرسول الكريم على عدم تلوثه والحفاظ عليه رغم أنه ماء جارٍ

وهكذا لم تترك السنة النبوية صغيرة ولا كبيرة في نظافة المسلم الشاملة في بيئته الطبيعية إلا وطرقتها وأكدت على ضرورة الالتزام بها .

نظافة المساجد والمنازل والطرقات :

كذلك أوصى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) المسلمين بالحرص على نظافتهم الشخصية ونظافة ثيابهم وسلامة مظهرهم فقد أوصاهم أيضا بتنظيف دورهم وأفنيتهم حتى لا تتجمع بها النفايات وتنبعث منها الروائح الكريهة وتنتشر فيه الحشرات ناقلة الأمراض من مكان إلى مكان آخر وكذلك المجاري المائية وما تتعرض له من ملوثات ضارة بصحة الإنسان.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **"الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"**(١). وهذه إشارة هامة لأولي الألباب بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقرن في توجيهاته بين التوحيد في الإسلام وبين الحفاظ على أمن وسلامة ويسر الأماكن العامة – الطرقات. وهي جزء هام جدا من بيئة الإنسان فالطرق في المدن الإسلامية ينبغى أن تكون نظيفة خالية من القمامة ، ممهدة السير موفورة الإشارات التي تنظم المرور وترشد الغرباء ؛فالحيوان وحده هو الذي لا يبالى أن يسير على الأشواك أو يقفز فوق الحفر وبالنظر إلى البلاد الغربية يلاحظ جمال الطرق ونظم المرور

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق ، ج١ ، ص٦٣.

وامتداد الصمت وشيوع الابتسام ولكأن هؤلاء الناس قد عادوا من درس سمعوه لمحمد (صلى الله عليه وسلم) في آداب الطريق وحسن الصحبة(١).

ومن سلوكيات احترام الطريق أيضا قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم):"إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء أو قال ليقبض على نصالها".(٢) والنصل هو رأس السهم والسيف والرمح وهذا النصل قد يصيب الإنسان بضرر ولذلك أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بحفظ النصل بعيدا عن الناس والطريق والمسجد حتى لا يصيب أحدا وعلى قياس ذلك يمكن القول بأن إيذاء الناس جرم يحاسب عليه المسلم فهل يفهم ذلك من يسوق سيارته بسرعة هائلة غير مهتم بجماهير السائرين ولا بإشارة مرور، فالغرامة المالية التي يدفعها السائق غير رادعة إذا كان هذا الشخص غنيا أو صاحب منصب أو جاه ولكن إذا كان هذا الدافع إيمانى داخلى فإنه حتما يحترم الآخرين وطرقهم وعدم الضرر.

وإذا كان المسلم حريصا على نظافة بيته فسوف يكون حريصا على نظافة بيوت الله التي يصلى فيها المسلمون وسيكون حريصا على نظافة الطريق التي يسيرون فيها، وهذا ما دعا إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله "عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن"(٣)، النخامة هو ما يعلق بالأنف من المخاط أو ما يعلق بالفم عند البلعوم من جراثيم يبصق بها الإنسان أو ينثرها فلابد من دفنها إذا كان الأرض

---

(١) الشيخ محمد الغزالى ،كنوز من السنة ، (القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م) ،ص١٣٨.

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٢١٩.

(٣) الإمام النووى ، رياض الصالحين ، مرجع سابق، ص ٥٤.

بها تراب لأن موضعها موطن للجراثيم ومن الممكن أن تنقل الأمراض الكثيرة ومن هذه الأمراض الانفلونزا وأمراض البرد وكذلك مرض السارس (حديثا) الذي انتشر بصورة كبيرة عن طريق التنفس فما بالك بالنخامة التي توضع في طريق الناس .

وعند تطبيق ذلك في العصر الحديث قد يعيب البعض على دفن النخامة أو إلقائها في الطريق وهذا لا يتنافي مع حديث رسول الله حيث إنه حريص على دفنها وبالتالى أولى عدم بصقها على الطريق ولكن البيئية العربية لم يتوفر لها ما توفر لنا من مناديل ورق يبصق فيها الإنسان ثم يلقيها في سلة المهملات وهذا ليس تعارض بل اختلاف ظروف البيئية فإذا أمر الرسول بدفن النخامة فأولى عدم بصقها على الأرض ، كل هذا يدل على حرصه على النظافة الشاملة للإنسان ، وفي الدعوة لعدم البصق هي دعوة للنظافة الشاملة لكل ما يصيب الإنسان من أمراض.

كما أن الرسول قدر وعظم مَن يقوم بنظافة المسجد مهما صغر شأنه فهو عند الله ذو مكانة عظيمة فقد روى أن "النبي (صلى الله عليه وسلم) مر على قبر جديد عهد بدفن ومعه أبو بكر الصديق فقال قبر من هذا قالوا يا رسول الله هذا قبر أم محجن كانت مولعة أن تلقط القذى من المسجد فقال ألا آذنتمونى لها فقالوا كرهنا أن نهيجك فصف النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وصلى عليها"[(١)] وأم محجن هذه امرأة سوداء كانت ترفع الأذى من المسجد وتقوم بنظافته فلما مرضت أمر الرسول الصحابة بإخباره بحالها فعندما ماتت ليلا استكثر الصحابة إيقاظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحضور جنازتها فأخذ

---

(١) أبو بكر الروياني (محمد بن هارون الروياني أبو بكر ،ت ٣٠٧هـ) ، مسند الروياني، تحقيق : أيمن على أبو يمانى، ج١، (القاهرة : مؤسسة قرطبة،١٤١٦هـ) ، ص٨٠.

يوبخهم وقال لهم ألا تخبرونى عنها فصلى صلاة الجنازة على هذه السيدة[١] وهذا يدلنا على احترام الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأقل الأعمال وإن كانت عند الله شعبة من شعب الإيمان وهذا يدعو إلى الاهتمام بهؤلاء الأفراد القائمين على نظافة المساجد والطرقات كما اهتم بهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك برعايتهم طبيا واجتماعيا فهم يقومون بأعمال ترضى الله ورسوله وإن كانت في نظر البعض أنها أعمال حقيرة أو ضئيلة.

والحرص على النظافة لا يقف عند حدود البيوت والطرق وإنما يمتد ليشمل كل عناصر البيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان ليحفظ لها جمالها ونقائها الذي أوجدها الله عليه

كما أن ارتباط النظافة بالإيمان رباط عظيم بين الإنسان وبيئته سواء الفرد أو الجماعة أو الدولة فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك"[٢] وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء أو نحو هذا وإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب".[٣]

فالطهارة في الإسلام من الأحداث غسلا ووضوءا وتيمما أمر هام وأساسي في السنة النبوية بل في العقيدة الإسلامية ولا تتم العبادة إلا بها ، كما سن الإسلام الغسل لصلاة

---

(١) الإمام الزرقانى (محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت : ١١٢٢هـ) شرح الزرقاني على موطأ ،ج٢ ،(بيروت : دار الكتب العلمية ،١٤١١هـ)،ص ص٨٢، ٨٣.

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١،ص٢٠٣.

(٣) الإمام الترمذى ، مرجع سابق، ج١، ص٦٠.

الجمعة وصلاة العيدين وتعديل الهيئة ونظافة الثياب والبعد عن كل ما يدعو إلى النفور عند لقاء الآخرين ، وما تتأذى منه الملائكة .

٢- الوسطية والاعتدال والبعد عن التطرف والإسراف :

الإسلام دين الوسطية لا يعرف المبالغة سواء بالسلب أو الإيجاب فلا إسراف ولا بخل قال تعالى:-

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾)

[الإسراء :٢٩].

الإسلام دين الاعتدال ينهي عن المبالغة في كل الأمور حتى في الأمور الدينية فلا مبالغة فيها ،وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينهي عن الإسراف ويدعو إلى الاعتدال فيقول :" سددوا وقاربوا وابشروا ..."(١) وطلب السداد في الحديث الشريف هو " القصد والعدل أي ما بين الإفراط والتفريط وقاربوا أي اقتصدوا فلا تغلوا ولا تقصروا بل توسطوا "(٢)

والإسراف ذنب كبير والمسرفون مكروهون عند الله ينهي عن اتباعهم ويضلهم ولا يهدهم ويهلكهم الله في الحياة الدنيا ويعذب الله المسرفين في الآخرة ، والإفراط في الطعام والشراب نوع من أنواع الإسراف المكروه في الإسلام لما يترتب عليه من أضرار ومفاسد لذلك نهي الله – سبحانه وتعالى – ورسوله المسلمين عن هذا النوع من الإسراف .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٤،ص ١٨٣.
(٢) محمد عبد العزيز الخولى ، مرجع سابق، ١٨٣.

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة وقال بن عباس كل ما شئت والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة" (١)

ولقد نهي الإسلام عن ملء البطن لما فيه من المفاسد الدينية والدنيوية والصحية فملء البطن يورث البلادة ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح ،فتنام الفكرة وتخرس الحكمة وهو يؤذى المعدة ويصيب الجسم بالأمراض فتقعد الأعضاء عن العبادة وهو مدعاة الكسل والنوم الكثير مما يقتل الوقت ويعطل العمل وأداء المصالح الدينية والدنيوية لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ "(٢)

ويحقق الاعتدال في الطعام والشراب ميزات اقتصادية هامة – إلى جانب ما يحققه من ميزات صحية وذهنية ؛فهو يسهم في توفير المواد الغذائية بكل أنواعها ويحول دون استنزافها وخلق الأزمات الغذائية التي قد تتفاقم حتى تصل إلى المجاعات التي تقضى على الشعوب .

وكراهة الإسراف والنهي عنه لا تقتصر على الطعام والشراب خاصة بل ينسحب عامة على كل ما يستغله الإنسان من عناصر البيئة الطبيعية الحية وغير الحية فالمسلم مطالب بالمعيشة وفق الطبيعة والتمتع بالطعام والشراب وكل النعم المباحة له ، "كل ما في

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٥ ، ص٢٨١.
(٢) الإمام القزوينى ، سنن ابن ماجة ،مرجع سابق، ج٢، ص ١١١.

الأمر أن تكون هذه المعيشة الطبيعية ملائمة لمطالب الفرد ومطالب المجتمع لا إسراف فيها كما تحقق صلاحه وصلاح المجتمع وخيره"(١)

إن تسخير الطبيعة للإنسان نعمة من الله ، تتيح له أن يتمتع بثرواتها وعناصرها ولكنها لا تعطيه حق استنزافها ولا الإسراف في استغلالها بل تفرض عليه أن ينظم تعامله معها بحيث يصون هذه الموارد ويحفظها من النفاد والتلف فينتفع بها بصورة معتدلة ويعم نفعها أبناءه وأجياله القادمة فالخيرات والنعم مهما زادت ينبغى للإنسان أن يحرص عليها ويقتصد فيها ويعتدل في استخدامها ولقد أعطى الله بذاته – جل جلاله –القدوة في الاقتصاد والاعتدال .

ذكر البيان بأن غرف المرء من مرقته لجيرانه إنما يغرف لهم من غير إسراف ولا تقتير"**عن أبي ذر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قال إذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فاحسهم منها بمعروف**"(٢) ، وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مر بسعد وهو يتوضأ فقال :"**ما هذا السرف فقال أفي الوضوء إسراف قال نعم وإن كنت على نهر جار**"(٣)

وجملة القول أن من مبادئ السنة النبوية الشريفة الأساسية ، سلوك الطريق الوسط أو المعتدل في التكليف فهو دين الوسطية والاعتدال ، لا إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير ولقد نهت السنة النبوية عن الإسراف لما فيه من أضرار كثيرة فالإسراف في نظر السنة النبوية كل سلوك يتعدى الحدود المعقولة أو المقبولة في أى أمر من الأمور وإذا طبق

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى، التربية في الإسلام ، (القاهرة :دار المعارف ، د.ت)) ، ص ١١٦.
(٢) ابن حبان ، مرجع سابق، ج٢ ، ص٢٦٩.
(٣) الإمام القزوينى ، مرجع سابق،، ج١ ،ص ١٤٧.

هذا المفهوم على البيئة فإنه يتمثل في الاستخدام المفرط أو الجائر لموارد البيئة ، ومن ثم يصبح هذا السلوك غير المرغوب فيه مصدر ضرر وخطورة على البيئة ومواردها كما أنه نوع من الأنانية وعدم التبصر وعدم الحكمة في تحمل المسئولية لأنه مدعاة لسرعة استنزاف موارد البيئة ، ومما يدلل على أن السنة النبوية تنهي عن الإسراف بكل أشكاله وألوانه ،أنها تنهي عن الإسراف حتى في أعمال الخير والعطاء والوضوء للصلاة .

كما تمثل جملة الأحاديث السابقة دعوة صريحة للمسلمين إلى الاعتدال والاقتصاد وحسن استغلال موارد البيئة من ناحية ونبذ الإسراف والاستخدام الجائر والتقتير من ناحية أخرى ولما كان المفسرون يتفقون في أن العبرة في الحديث النبوي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فإن الدعوة إلى الاعتدال ونبذ الإسراف تشمل كل سلوك إنسانى فعلى المسلم ألا يبدد نعمة الله وهي البيئة التي يعيش فيها ويلتزم جانب الاعتدال والاتزان في استخدامها وتجنب الإسراف فحد الاعتدال والاتزان هو حد الإسلام الذي يجب أن نلتزم به في كل سلوكياتنا البيئية وغيرها

وليس ثمة شكٌّ أن دعوة السنة النبوية إلى الاعتدال ونبذ الإسراف منذ أكثر من أربعة عشر قرنا بدأت تدركها مؤخرا المجتمعات غير الإسلامية في الشرق والغرب حيث بدأوا ينادون بالاستخدام العاقل أو الراشد المعتدل ونبذ الاستخدام الجائر أو المفرط (**الإسراف**) بعد أن بدأ الإسراف في استخدام موارد البيئة يهدد البشرية بأخطار كثيرة فمثلاً أدى الإسراف في قطع الأشجار والنباتات إلى بروز مخاطر كثيرة مثل جرف التربة ـ الفيضانات العنيفة ـ تدهور الدورة المائية ونظم المطر ـ انتشار التصحر ـ الاختلال في دورة الأكسجين ـ ثاني أكسيد الكربون وغيرها كما يؤدي الإسراف في استخدام المياه إلى

مشاكل عديدة مثل تملح التربة - سرعة نضوب موارد المياه الجوفية - نقص موارد المياه وغيرها .

إن البشرية اليوم في حاجة ماسة لتبني الدعوة النبوية إلى الاعتدال ونبذ الإسراف للحد من الضغط الشديد على موارد البيئة لتظل قادرة على استمرارية العطاء وتتحقق العلاقة المتوازنة بين الإنسان وبيئته التي نتفادى بها ما يعانيه الإنسان اليوم من مشكلات خطيرة آخذة في التفاقم بشكل مطرد إذا لم يوضع حدٌّ لهذا الاستخدام المفرط والجائر.

٢- صيانة البيئة وإصلاحها من الفساد :

الفساد بمعناه الشامل ضد التعمير والصلاح ، والفساد هو كل سلوك بشرى يفسد نعم الله ويحيلها من مصدر منفعة وحياة إلى مصدر ضرر وخطورة على الحياة فالفساد إذن سلوك بشرى على غير ما أمر به الله (سبحانه وتعالى) ورسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى مقدار تمرد الإنسان على حركة الحياة يحدث الفساد والإفساد ومن ثم فقد نهي الإسلام عن الفساد والإفساد لما فيهما من ضرر كبير وتوعد الله المفسدين بغضب الله وسخطه.

قال تعالى :-

(وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾)

[البقرة : ٢٠٥]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في الأخنس بن شريق الذي أقبل على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأعلن إسلامه وكان منافقا ، ثم خرج فمر بزرع فأحرقه وحمر فعقرها[١] فذكر الله أمره ذلك أن ما فعله الأخنس يتعارض مع السلوك الإسلامي القويم في الحفاظ على البيئة

يقوم المجتمع الإسلامي على أسس راسخة متينة من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)وعماد هذه الأسس هو الإيمان ، تلك الطاقة التي يستمد منها المسلم القدرة على العمل الصالح الذي يشارك به في بناء مجتمع إسلامي صالح.

والدعوة إلى العمل الصالح ترد في الآيات القرآنية بصورة واضحة وكثيرة وكان ترتيب الدعوة إلى العمل الصالح يلي الدعوة إلى الإيمان مباشرة مما يدل على أهمية العمل الصالح وسمو مكانته .

والعمل الصالح سمة من سمات المؤمن الحق فالمؤمن هو الذي لا يتسبب في إلحاق الضرر والإيذاء بالمسلمين أنفسهم ولا أعمالهم ولا أرزاقهم ولا أي شيء ينفعهم ويجدون فيه مصلحتهم وفي هذا يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم)"**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه**"[٢] وبذلك فالفاجر والمنافق على النقيض من ذلك

لقد كفل الإسلام جميع حقوق الإنسان وأوجب حمايتها وصيانتها لأن هذه الحقوق هي التي تمنح الإنسان الانطلاق إلى الأفاق الواسعة ليبلغ كماله ويحصل على

---

(١) الإمام الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، ت :٣١٠هـ) ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج٢ ،(بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ) ، ص٣١٢.

(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري،مرجع سابق، ج ١، ص١٣ .

ارتقائه المقدر له وحق الحياة أهم هذه الحقوق إذ لكل فرد حق صيانة نفسه وحماية ذاته فلا يحل الاعتداء عليها أو قتلها إلا إذا قتل نفسا أو أفسد في الأرض فسادا يستوجب القتل .

واعتبر الإسلام الفساد في الأرض " جريمة عقابها القتل وكذلك اعتبر أى إهدار أو تفويت أو تنقيص لحق من حقوق الإنسان جريمة أيضا لذلك منع الإسلام الحرب أيا كان نوعها لأنها اعتداء على الحياة وعلى ما تصلح به الحياة فمنع حرب التوسع وبسط النفوذ ومنع حرب الانتقام والعدوان وكذلك منع حرب التخريب والتدمير"(١) .

وما يدلل على حرص الإسلام على عدم الخراب والفساد في الأرض عندما أرسل الرشيد رسالة إلى عامله في خراسان يوصيه ويقول :" امنع جندك من العبث بالرعية والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء"(٢) .

كما "**بكى معاذ خشوعا لفراق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المدينة فقال إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وإن أولى الناس بي المتقون من كانوا حيث كانوا اللهم إني لا أحل لهم فساد ما أصلحت وأيم الله ليكفؤون أمتي عن دينها كما يكفأ الإناء في البطحاء**"(٣) وهكذا غرس الرسول (صلى الله عليه وسلم) منابع الخير في نفوس المؤمنين وعدم الفساد البيئي والخلقى.

كما أن الرسول يدعو مستعيذا من داء الفقر وهو أخطر أمراض البيئة فالفقراء ينظرون إلى الاهتمام البيئي من ناحية ثانوية كما يدعو الرسول بالحرص من الأمراض التي

---

(١) السيد سابق ، مرجع سابق، ج١، ص٢١.

(٢) الإمام الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، ت :٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم والملوك، (ج٥ ؛بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ) ، ص٥١.

(٣) ابن حبان ، مرجع سابق،ج ٢ ، ص ٤١٥.

تهلك الإنسان وهو عنصر هام من عناصر البيئة فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) "عن قتادة عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم والقسوة والغفلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والشرك والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والبرص والجذام وسيئ الأسقام"(١) .

كما يدعو الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى نقاء القلب فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد منه" وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه " (٢)والمراد باستقامة إيمانه استقامة أعمال جوارحه فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب ومعني استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة .... ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله"(٣).

---

(١) المرجع السابق ، ج٣، ص٣٠٠.

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، (ج: ١ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٨هـ)، ص٧٥.

(٣) الإمام القزوينى ، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٠.

فهذا الحديث هو نوع من التحفيز من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإنسان في ذلك العصر فأجره يعادل خمسين من أجر العاملين وبذلك يحثه على العمل والإصلاح دون التمادى في الخطأ والإفساد

ومن مظاهر الإصلاح دون الإفساد التداوى لأن الأمراض تختلف من عصر إلى عصر "فالطبائع تتغير بحدوث الأزمنة من الحر و البرد وفساد الهواء فيصير داء في الأجساد وتحدث في الجسد الأحداث من الطعم و ما يتعاطاه ابن آدم من قضاء الشهوات واللذات والنصب والسهر والتعب و الهموم و ما يجتمع في الجسد من الدم والمرة و البلغم و كل ذلك يحدث منه ما يتغير حاله فيحتاج إلى دواء يسكن منه ما هاج فهذا تدبير الجسد فإذا ترك تدبيره ضيعه كما لو ترك تدبير المعاش ضاع فالتداوي حق و هو فعل الأنبياء عليهم السلام"(١).

و قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة و هم يلقحون النخل فقال :"ما أرى يغني هذا شيئا فذهبت عامة ثمارهم و صارت دفلا (أى فسدت الثمار) فعرف أن التدبير في ذلك غير ما رأى فأمرهم أن يعودوا إلى ما كانوا عليه فكذا وضعت علل الأجساد أن تعالج حتى ترد إلى الهيئة التي كانت عليها ولولا ذلك لكانت الأدوية مهملة و لم يخلقها الله تعالى عبثا و كان سليمان عليه السلام تنبت في محرابه كل يوم شجرة ثم تناديه الشجرة أنا دواء لكذا فتقطع وتوضع في ديوان الطب فعامة الطب إنما ورثوه من تلك الكتب"(٢)

---

(١) محمد بن علي الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق د.عبد الرحمن عميره ، (ج١؛ بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٢م) ، ص٤٠٣.

(٢) المرجع السابق ، ج١، ص٤٠٣.

فالناس في التداوي على طبقتين "فالطبقة الأولى هم الأنبياء و الأولياء عليهم السلام أهل يقين ومشاهدة يتداوون و قلوبهم مع خالق الدواء الذي جعل الشفاء في ذلك الدواء فهم يتداوون على ما هيأ لهم من التدبير وينتظرون الشفاء من **الله تعالى** و قلوبهم خالية عن فتنة الدواء والطبقة الثانية هم أهل اليقين لم يأمنوا خيانة نفوسهم أن تطمئن إلى الدواء وتركن إليه فيفروا من ذلك فكلما عرض لهم داء فوضوا الأمر في ذلك إلى **الله تعالى** و توكلوا عليه و لم يتكلفوا تداويا وتركوا التداوي من ضعف يقينهم خوفا على قلوبهم أن تطمئن نفوسهم إلى الدنيا فيصير سببا يتعلق به قلوبهم و الأول أعلى وأقوى"(١)

إن أوجه الفساد عديدة ومتنوعة فهي تبدأ بالكفر ومحاربة الدين وارتكاب المعاصي وتتضمن إفساد البيئة الشامل للجوانب الثقافية والاجتماعية والطبيعية وتتضمن أيضا إفساد عناصر البيئة الطبيعية الحية وغير الحية والاعتداء عليها بالاستنزاف والإتلاف والتبديد وسائر أوجه التخريب والتدمير.

لذلك جعل **الله سبحانه وتعالى** – إفساد عناصر البيئة الطبيعية من أبرز صفات المنافق المكروه لديه تعالى فهو مخرب ومفسد للحرث والنسل قال تعالى :-

"وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥"

[البقرة :٢٠٥]

فالمنافق هو الذي يفسد في الأرض ،فيهلك الزرع ويقضى على الضرع ، ويؤكد الله كراهيته فهو لا يحب المفسدين .

---

(١) المرجع السابق ، ج١ ، ص٤٠٣.

وللفساد في البيئة الطبيعية طرائق متعددة ، فهو تارة يكون شرها واستنزافا في استخدام مواردها وعناصرها وتارة يكون تخريبا وتدميرا لهذه الموارد وفساد البيئة يكون أيضا بالتلويث تلويث هذا الكون الفسيح وتلك الطبيعة الساحرة بألوان لا تعد ولا تحصى من الملوثات ،لقد خلق الله الكون نظيفا والهواء نقيا والسماء صافية والماء رائقا والدنيا حلوة خضراء ولم تفقد هذه العناصر صفاتها الحسنة هذه ولم يتبدل حالها إلى نقيضه إلا على يدي الإنسان قال تعالى:-

" ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ "

[الروم :٤١].

كما أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان دائما يختار الفطرة السليمة التي تدل على بيئة نظيفة خالية من الأمراض وما يذهب العقل وما يؤدى إلى تدمير الإنسان وجعله مخربا للبيئة بشربه للخمر الذي يذهب العقل ويؤدى بصاحبه أن يصبح إنسان غير سوى يفعل ما يشاء من تخريب وإفساد للبيئة بجميع أشكالها فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "ليلة أسري بي وأنا أشبه ولد إبراهيم صلى اللهم عليه وسلم به ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقيل أخذت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك "(١) وفي هذا حرص الرسول على اللبن وهو مفيد صحيا للإنسان ويقوم عليه بناء الكثير من أنسجة الجسم أما الخمر فهو سبب بلايا كثيرة تصيب الإنسان وقد تصل به إلى أمراض متنوعة كالسرطان والتغيب

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٤.

العقلي وفقدان الثقة والانتحار وغيرها من موبقات العصر الحديث ، فشارب الخمر مضر لنفسه ومضر لبيئته فعند يغيب العقل يغيب الوعي وبالتالي يحدث ما لا يحمد عقباه من تلوث للبيئة بكل ما أوتى من قوة فيشاهد في الأفلام والمسلسلات صورة من يشرب الخمر بأنه إنسان مدمر ومخرب مفسد لبيئته ، لذلك نهي الله ورسول شرب الخمر وهي كانت عادة متأصلة في المجتمع العربي آنذاك.

كما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يختار الأطعمة والأشربة التي تقوى الجسم وتنميه فلقد أثبت العلماء أن اللبن أساسي في تكوين الجسم وضروري لتنميته ، واللبن منتج حيواني فهناك ألبان الأبقار وألبان الماعز والجمال ،ووردت هذه اللفظة في ثلاثين موضعا في الأحاديث النبوية .

فعن ابن عباس يقول: " أهدت خالتي أم حفيد إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمنا ولبنا وأضبا فأما الأضب(**وهو حيوان يعيش في البيئة العربية وكانت العرب قديما تأكله**) فإن النبي صلى اللهم عليه وسلم تفل عليها فقال له خالد بن الوليد قذرته يا رسول الله قال نعم أو أجل وأخذ النبي صلى اللهم عليه وسلم اللبن فشرب منه ثم قال لابن عباس وهو عن يمينه أما إن الشربة لك ولكن أتأذن أن أسقي عمك فقال ابن عباس قلت لا والله ما أنا بمؤثر على سؤرك (**ما يتبقى في الإناء بعد الشرب**)أحدا قال فأخذته فشربت ثم أعطيته ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم) ما أعلم شرابا يجزئ عن الطعام غير اللبن فمن شربه منكم فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ومن طعم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه "(١)

---

(١) المرجع السابق ، ج١، ص٢٦٠.

لقد أصبح معلوما وواجبا أن يتجنب المسلم الفساد في البيئة الطبيعية بكل أوجهه لكن الأمر لن يقف عند هذا الحد فالمسلم لن يمتنع عن الفساد ثم يقف موقفا سلبيا إزاء المشكلات التي قد تتعرض لها البيئة الطبيعية بل إن المسلم مقدام في الخير بطبعه مصلح بفطرته .

والإسلام لم يمنع تدخل الإنسان في المسار الطبيعي للنظم البيئية بل سمح له بأن يتدخل فيه بما يعود عليه وعلى الآخرين بالخير والنفع ولا يتسبب في إلحاق أي أذى بالموارد الطبيعية في نفس الوقت وإنما يكون تدخله هذا بغرض إصلاح أمرها وما فسد منها وحل ما عرض لها من مشكلات أو يكون بغرض إصلاح أمرها وما فسد منها وحل ما عرض لها من مشكلات أو يكون بغرض زيادة نفعها وما يجنى منها من خيرات .

كما أن إحياء الأرض الموات قد يظنه الغافلون تدخلا في المسار الطبيعى وتغييرا للصورة التي كانت عليها تلك الأرض ولكن التربية الإسلامية بكل ما اتسمت به من عمق وموضوعية ربت المسلم على اتخاذ القرار نحو حل المشكلات البيئية فهذه أرض ميتة جدباء لا يجنى أحد منها نفعا فهلا تدخل فأصلح من أمرها وجعلها صالحة للزراعة يجنى الناس ثمارها ويرزقهم الله من خلالها .

هذا ما دعا إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو لم يكتف بالدعوة لهذا الأمر الحيوى بل إنه أجاز حق من يصلح أرضا في تملكها والانتفاع بها فقد قال (صلى الله عليه وسلم)" من من أحيا أرضا ميتة فهي له " وقال :" **من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق** "(١) وهي دعوة هامة تقوم بها منظمات التربية البيئية على مستوى العالم وهي علاج حيوى

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٩.

لمشكلة التصحر ودعوة إلى الاستزراع والاكتفاء الذاتى من الأطعمة والغذية وذلك بإحياء الأرض وتنميتها وزراعتها ففي حياة الأرض حياة للإنسان ودعوة مربية لمقومات التربية البيئية .

من أوضح الأمثلة التي تؤكد تشجيع التربية الإسلامية للمسلمين على التدخل في مسار النظم الطبيعية وتغييرها بما يعود عليهم بالنفع وعلى مواجهة المشكلات البيئية التي قد تعطل مصلحتهم أو تعوق منفعتهم ما رواه موسى بن طلحة عن أبيه ،قال : مررت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوم على رؤوس النخل فقال : " ما يصنع هؤلاء ؟" قالوا : يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " ما أظن يغنى ذلك شيئا قال : فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بذلك فقال "إن كان ينفعهم ذلك فيصنعوه ،فإنى قد ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجل "(١)

" إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه " بهذه العبارة صاغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبدأ الإصلاح في مجال البيئة الطبيعية والتدخل في مسارها وحل مشكلاتها وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد ترك اتخاذ القرار في هذا الأمر الدنيوى للمتخصصين فيه إلا أنه قد تدخل فيه بالتنظيم تحقيقا للعدل بين الناس وحسما لأى خلاف أو ظلم قد يقع من جراء تنفيذه فقد قال (صلى الله عليه وسلم) "أيما نخل اشترى أصولها وقد أبرت فإن ثمرها للذى أبرها إلا أن يشترط الذي اشتراها"(٢) ، فهذا تنظيم لأمور البيع والشراء وليس تدخلا في مسار التنمية الزراعية .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٢ ، ص ١٨٣.
(٢) المرجع السابق، ج٣، ص ١١٧٢.

ويستخلص مما سبق أن التربية البيئية في ضوء السنة النبوية توجهت نحو صيانة البيئة من الفساد وقامت بتعديل سلوك المسلم بشأن البيئة الطبيعية وفي علاقته بعناصرها وتوجيه هذا السلوك إلى الاتجاه الرشيد العقلاني في موقفه من هذه البيئة الطبيعية بل والارتقاء به إلى صورته المثلى ، بحيث يعطى القدوة الصالحة للآخرين في هذا المجال ولابد للتربية البيئية من تربية عادات الامتثال للوازع الديني في النفس نحو البيئة والإصغاء لصوت الضمير البيئي بشأنها ، كما يتعين أن تهدف التربية البيئية في ضوء السنة النبوية إلى إكساب وتنمية المهارات اللازمة لذلك .

٤-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لا يكتفي المؤمن الصادق إيمانه بأن يعمل صالحا ويستبق إلى الخيرات بينما يترك الآخرين وشأنهم ،بل إنه يراقبهم ويوجههم فينهاهم عن الفساد والإسراف ويدعوهم إلى الإصلاح والاعتدال وهو يوضح للآخرين طريق الإصلاح والمنفعة العامة ويدعوهم إلى اختيار السلوك الصالح النافع وهو إذ يسبق هذه الدعوة بإعطاء القدوة بنفسه ويسبقه في التمسك بالسلوك الصالح النافع له ولغيره .

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حياته فلم يدع للمسلمين إلى أمر إلا وكان قد قام به مسبقا ولم يطلب منهم سلوكا معينا إلا وكان قد أداه وانتهجه قبلا حتى يتحقق عنصرا الإقناع والقبول.

obeikandl.com

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحث المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضحا لهم ما فيه من الأجر والثواب ،قال (صلى الله عليه وسلم) "....وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة "(١)

وقال " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل أثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "(٢) كما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحذر المسلمين من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يترتب على ذلك من اعوجاج حالهم وتفشى للمعاصى وارتكاب للذنوب وغير ذلك من الأضرار التي تؤذى المسلمين جميعا وتؤدى بهم إلى سوء المصير.

وفي سبيل خلق الضمير الداخلى لدى المسلم وتنميته كان لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يكون هناك رأى عام مهذب لائم يحث على الخير وينهي عن الشر فإن الرأى العام له رقابة نفسية تجعل كل شرير ينطوى على نفسه فلا يظهر شره ، وكل خير يجد الشجاعة في إعلان خيره (٣) وفي الدعوة إلى الخير وحث الناس على اتباعه حتى يتعاون الجميع في إشاعة النماء والرخاء في البلاد وفي جعلها جنة وارفة الظلال.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسلوب من أساليب التربية النبوية وله شروط يجب اتباعها ويسقط هذا الأسلوب بزوال تلك الشروط :

أولا : هو أن يعلم أن المأمور به معروف وأن المنهي عنه منكر.

---

(١) محمد بن إسحاق النيسابوري ، مرجع سابق ،ج٢؛ ص٢٢٨.
(٢) محمد عبد العزيز الخولى ، الأدب النبوي ، (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، د.ت) ، ص ٢١٣.
(٣) الإمام أبو زهرة ، تنظيم الإسلام للمجتمع ،(القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٧٥) ص ٢٣.

ثانيا :أن يعلم أن المنكر حاضر : كأن يرى أوانى الشرب للخمر مثلا مهيأة والملاهي حاضرة .

ثالثا : هو أن يعلم أن ذلك لا يؤدى إلى مضرة أعظم منه فإنه لو علم وغلب ظنه أن نهيه عن شرب الخمر سيؤدى إلى قتل جماعة من المسلمين .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال البيئة الطبيعية ينشأ من توجه التربية الإسلامية بصفة عامة والسنة النبوية بصفة خاصة نحو خلق جيل من الشباب الصالح الذي يتصرف بدافع من حبه للطبيعة وحرصه على سلامة مواردها واستمرار بقائها فيسهم في تنمية بيئته ويعمل على رعايتها ويحرص على صونها ويشارك في حل المشكلات التي قد تعرض لها .

وتحرص السنة النبوية على بث الوازع الديني في نفس المسلم منذ طفولته وإحياء الضمير الذي يحرره من الانزلاق في الخطأ بالإساءة إلى عناصر البيئة الطبيعية بإلحاق الفساد والتلف بها أو بإهدارها واستنزافها أو بتخريبها وتدميرها أو بتلويثها ، دونما تقدير للأضرار المترتبة على ذلك واللاحقة بعناصر البيئة الطبيعية نفسها وبالمنتفعين بها من مخلوقات الله .

وجملة الأحاديث السابقة في النظافة الشاملة والدعوة إلى الاعتدال وصيانة البيئة وحمايتها من الفساد كل هذه تمثل أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ودعوة لحماية البيئة من جور الإنسان فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :"**من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"(١) فقد شرع الرسول

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١، ص٦٩.

(صلى الله عليه وسلم) في الحديث السابق في مجال حماية البيئة وغيرها تشريعا يعطى الفرصة لدعاة الإصلاح ودعاة حماية البيئة باستخدام هذا الحق وسن التشريعات والقوانين التي تكفل حماية البيئة من فساد الإنسان. .

وفي الحديث السابق تأكد أن التربية البيئية في السنة النبوية إلى جانب حرصها على توثيق علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية وذلك من خلال وسائلها لتحقيق ذلك وإلى جانب حرصها على تنظيم علاقة الإنسان بجميع عناصر تلك البيئة الطبيعية ، ضمانا لاستمرارية وبقاء نفع تلك المصادر الطبيعية ، فهي لم تمنع تدخل الإنسان في مسار النظم البيئية ، قدر ما أتاح الله له أن يتدخل ، بل دعته إلى مواجهة ما تتعرض له عناصر تلك البيئة الطبيعية من مشكلات واتخاذ الأسلوب العلمي نحو حل هذه المشكلات والمساهمة الفعلية في حلها أو مجرد المشاركة الفكرية في وضع الحلول لها وهو أضعف الإيمان طبقا للحديث النبوي الشريف .

[ب] الحيوان :

لقد اهتمت السنة النبوية بالحيوان كثيرا وقد ذكرت الكثير من الحيوانات على اختلاف أنواعها في عدة مواضع من أهمها (البقر) وردت هذه اللفظة في عشرين موضعا في الأحاديث النبوية ، (الغنم) وردت هذه اللفظة في ثلاثة وستين موضعا في الأحاديث النبوية(العير) وردت هذه اللفظة في أربعة أحاديث نبوية ، في صحيح البخاري فقط(الإبل)وردت هذه اللفظة في مائة وأربعة عشر موضعا في الأحاديث النبوية (الناقة) وردت هذه اللفظة في تسعة عشر موضعا في الأحاديث النبوية ،(الخيل) وردت هذه اللفظة في واحد وخمسين موضعا في الأحاديث النبوية ، (الحمار) وردت هذه اللفظة

في ثلاثة وثلاثين موضعا في الأحاديث النبوية ، (الطير) وردت هذه اللفظة في ستة عشر موضعا في الأحاديث النبوية ، (دجاج) وردت هذه اللفظة في ستة أحاديث نبوية (الكلب) وردت هذه اللفظة في تسعة وثلاثين موضعا في الأحاديث النبوية ، (الضب) وردت هذه اللفظة في عشرة أحاديث نبوية ، (الفأر) وردت هذه اللفظة في حديثين نبويين ، (الدابة) وردت هذه اللفظة في تسعة وعشرين موضعا في الأحاديث النبوية ، (الدواب) وردت هذه اللفظة في تسعة عشر موضعا في الأحاديث النبوية ، (الذئب) وردت هذه اللفظة في تسعة مواضع من الأحاديث النبوية ، (الماشية) وردت هذه اللفظة في ثلاثة مواضع من الأحاديث النبوية ،الضأن : وردت هذه اللفظة في ثلاثة مواضع من الأحاديث النبوية (الهرة)وردت هذه اللفظة في أربعة مواضع من الأحاديث النبوية ، (الحية) وردت هذه اللفظة في سبعة مواضع من الأحاديث النبوية .

كما أوضحت التربية الإسلامية طبيعة العلاقة بين الإنسان والحيوان والمثلة في المنافع التي يجنيها الإنسان من الحيوان بمختلف أنواعه والتي من أجلها خلقه **الله** وسخره لنفع الإنسان فقد اتجهت إلى تنظيم تلك العلاقة تنظيما محكما بصورة لا تسمح للإنسان أن يطغى فيبدد هذه لثروات التي أنعم **الله** بها عليه .

فالرفق بالحيوان وهو تشريع بيئي لحماية الحيوان من ظلم الإنسان وجوره وترك البيئة الطبيعية على أصلها وثباتها وفطرتها والرفق بالحيوان من مبادئ التربية البيئية فهي تهذب سلوك الفرد فيما يتعلق بتعامله مع الحيوانات.

ويتضح هذا التنظيم في عدة أسس من أهمها ما يلي :

- رعاية الحيوان والرفق به والحفاظ عليه

- النهي عن الإساءة إلى الحيوان وإيذائه
- النهي عن استخدام الحيوان في غير ما خلق له

هذا وتركز اتجاهات تنظيم علاقة الإنسان بالحيوان على قاعدة أساسية وهي أن لخلق هذه المخلوقات جميعا – فضلا عن تسخيرها لنفع الإنسان – غاية وهدفا : فهي أمم عابدة تسبح لله وتسجد له وهي بهذا مماثلة للأمم البشرية التي ما خلقت إلا لتعبد الله أيضا

١- رعاية الحيوان والرفق به والحفاظ عليه:

شدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الاهتمام بالحيوان ورعايته " فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول " من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها قلنا يا رسول الله وما رسلها ونجدتها قال في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ(أى أسرع وأنشط) ما كانت وأكبره وأسمنه وأسره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه فيه بأخفافها إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكبره وأسمنه وأسره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه فيه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس حتى يرى سبيله وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكبره وأسمنه وأسره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها يعني ليس فيها عقصاء (أى الملتوية القرون) ولا عضباء(مشقوقة الأذن) إذا جاوزته أخراها أعيدت أولاها في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله فقال العامري وما حق الإبل يا أبا هريرة قال أن تعطي الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي اللبن وتطرق الفحل (١)

وقد أورد بعض الفقهاء أحكاما فقهية تتعلق بحسن رعاية الحيوان وتفسيرا للحديث السابق " فمن ملك دابة لزمه علفها وسقيها ويقوم مقام العلف والسقى تخليتها لترعى وترد إن كانت مما يرعى ويكتفى به لخصب الأرض ونحوه ، ولم يكن مانع ثلج وغيره فإن أجدبت الأرض ولم يكفها الرعى لزمه أن يضيف إليها العلف ما يكفيها ويطرد هذا في كل حيوان محترم ، وإذا امتنع المالك من ذلك أجبره السلطان في المأكولة على بيعها أو صيانتها عن الهلاك بالعلف أو بالتخلية للرعى أو ذبحها وفي غير المأكولة على بيعها أو الصيانة فإن لم يفعل ناب الحاكم عنه في ذلك على ما يراه ويقتضيه الحال وعن ابن القطان أنه لا يخليها لخوف الذئب وغيره ، فإن لم يكن له مال باع الحاكم الدابة أو جزءا منها أو أكراها ، فإن لم يرغب فيها لعمى أو زمانة أنفق عليها بيت المال كالرقيق"(٢)

ويرى الباحث في هذا الحديث ما العذاب الذي يتلقاه الإنسان الذي يضر بحيواناته فلو أدرك الإنسان هذا الحديث لعامل الحيوان معاملة تقترب من الإنسان إلى الإنسان فهو روح يجب احترامها وعدم إهمالها فقد سخرها الله للإنسان ولكنه بحكمة دون مشقة لها أو إذلال يخرج الإنسان عن الخير في داخله وكما يفعل بالحيوان في الدنيا من أضرار سوف يلحقه ذلك في الآخرة .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٢، ص٦٨١.

(٢) الإمام النووى ، روضة الطالبين ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و على محمد معوض ،ج٦(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) ، ص ص ٥٢٣ : ٥٢٤.

كما نادى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالاهتمام بالإبل قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحل صرار ناقة بغير إذن أهلها فإنه خاتمهم عليها فإذا كنتم بقفر فرأيتم الوطب (اللبن الحامض) أو الراوية أو السقاء من اللبن فنادوا أصحاب الإبل ثلاثا فإن سقاكم فاشربوا وإلا فلا وإن كنتم مرملين (أى نفذ طعامكم) قال أبو النضر ولم يكن معكم طعام فليمسكه رجلان منكم ثم اشربوا (١)

كما احترم الرسول الحيوان وأعطاه حقه "عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكرموا المعز وامسحوا رغامها فانها من دواب الجنة"(٢).

لقد خص الله – سبحانه وتعالى – الحيوان بعلاقة خاصة بينه وبين الإنسان لملازمته له وللفوائد التي يجنيها منه فكان لابد للإنسان أن يحسن إليه ويرعاه وألا يسلبه حقوقه التي كفلها الله له فالحيوان يشارك الإنسان في الماء وفيما تنبت الأرض من نبات وثمار فالواجب على الإنسان ألا يستأثر بتلك النعم بل يعطى الحيوان حقه في القوت والحياة .

وقد حث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين على رعاية الحيوان وحسن معاملته والعطف عليه وذلك في مواضع عديدة من أحاديثه الشريفة فرغم أن رعاية الحيوان بتقديم الطعام له واجب على كل مسلم فقد بشر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الزارع بأن له صدقة وثوابا إذا أكل حيوان أو طير من زرعه هذا عدا الإنسان – إذ يقول (صلى الله عليه وسلم)" ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه الطير أو إنسان أو بهيمة

---

(١) المرجع السابق ، ج١، ص٣٢٦.
(٢)الإمام أبو بكر الهيثمى ، مجمع الزوائد ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٦٦

إلا كان به صدقة [١] ويحمل هذا الحديث إلى جانب الدعوة إلى الغرس والزرع دعوة إلى رعاية الحيوان والطيور والسماح لهم بأن يأكلوا من الزرع والغرس شأنهم في ذلك شأن الإنسان .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعلم المسلمين أن يسارعوا بإطعام دوابهم وأن يقدموا ذلك على أمور قد يرونها أكثر أهمية فقد حدث أبو داود عن أنس بن مالك أنه قال :" **كنا إذا نزلنا منزلا لا نسبح حتى تحل الرحال** " يريد لا تصلى سبحة الضحى حتى تحط الرحال ويجم المطى وكان بعض العلماء يستحب أن لا يطعم الراكب إذا نزل المنزل حتى يعلف الدابة وقد أنشد بعضهم في هذا :

حق المطية أن يبدأ بحاجتها * لا أطعم الضيف حتى أعلف الفرسا[٢]

ومن حق الحيوان أن يقدم له الماء خاصة في حالات العطش الشديد وقد بشر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يفعل ذلك أيضا بالمغفرة، إذ يقول : " **بينما رجل يمشى بطريق فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ،ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بى ، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا،قال:"في كل كبد رطبة أجر** "[٣].

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٣٥.

(٢) الإمام أبو داود ، مرجع سابق، ج٢ ، ص ٢٤٩. ومعنى البيت الشعري هذا أن واجب على المضيف أن يأتي بغذاء الفرس لأنه تعب من طول السفر ويحتاج إلى الرعاية قبل إكرام الضيف وهذا يدل على حرص المسلمين على رعاية الحيوانات والحفاظ عليها.

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٤٦.

وهذا يعطى درسا عظيما في الرفق بالحيوان سواء أكان هذا الحيوان ضارا أم نافعا ولكنه به روح يجب المحافظة عليها مما أوجب **الله** الجنة لصاحب السقيا لأنه احترم روح خلقها **الله** وسقاها من فضل **الله** .

كما ذكر **رسول الله (صلى الله عليه وسلم)** أن **الله** قد غفر لامرأة بغى لأنها سقت كلبا كاد العطش أن يودى بحياته في يوم حار، فقال : **" إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها (أى استقت له بخفها) فغفر لها "** (١) سقاء الكلب أصبح مسوغا لدخول الجنة حتى ولو كانت هذه المرأة باغية تفعل الموبقات مما يدل على حرص **الرسول (صلى الله عليه وسلم)** على الاهتمام بالحيوان مهما صغر أو كبر ويقاس على ذلك جميع الحيوانات .

وقد بلغ اهتمامه بالحيوان وعدم تعذيبه أنه أوصى بحسن الذبح وسن وحد الشفرة **فقال (صلى الله عليه وسلم)** "إذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته ليرح ذبيحته "(٢).

فرسول الله لا يريد المشقة للذبيحة بل يريد أن تتم عملية الذبح سريعا كي لا تشعر بالأسى والحزن وقد وضعت عدة أمور هامة خاصة بذبح الدابة شرعها وفصلها الفقهاء ومنها(٣) :

١. لابد للذابح من تفقد آلة الذبح والتأكد من حدة شفرتها فإن لم تكن حادة قام بسنها قبل الذبح وعليه أن يمرر السكين بقوة وتحامل ذهابا وعودة .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ،مرجع سابق، ج٤ ، ص ١٦١.
(٢) المرجع السابق ،ج٣ ، ص ١٤٨.
(٣) الإمام النووى ، روضة الطالبين ، مرجع سابق، ج٧، ص٣٩٢.

٢. إذا قطع الحلقوم والمرىء فالمستحب أن ينتظر ولا يفصل الرأس عن الجسد في الحال ولا يزيد في القطع ولا يبادر إلى سطح الجلد ، ولا يكسر الفقار ، ولا يقطع عضوا ولا يحرك الذبيحة ولا ينقلها إلى مكان آخر بل يترك جميع ذلك حتى تفارق الروح ولا يمسكها بعد الذبح مانعا لها من الاضطراب والأولى أن تساق إلى المذبح برفق وتضجع برفق ويعرض عليها الماء قبل الذبح ولا يحد الشفرة قبالتها ولا يذبح بعضها قبالة بعض .

كما حرم (صلى الله عليه وسلم) حلب الماشية بغير إذن مالكها ، فقال في ذلك **" لا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه ،أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينتقل طعامه إنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم ، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه "**(١)

وأيضا اهتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنظافة الحيوان عند حلبه وتطهيره من الجراثيم والميكروبات التي قد تضر باللبن وبالتالي تضر الإنسان "عن أبي بكر رضي الله عنه قال انطلقت فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه فقلت لمن أنت قال لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت هل في غنمك من لبن فقال نعم فقلت هل أنت حالب لي قال نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب كثبة من لبن وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت"(٢)

ومن صور اهتمام المسلمين بلبن الدابة ما أورده الإمام النووي في روضة الطالبين **" لا يجوز نزف لبن الدابة بحيث يضر ولدها وإنما يحلب ما فضل عن رى ولدها ، قال**

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٣ ، ص ٣٥٢.
(٢) المرجع السابق ، ج٣، ١٣٦٠.

الروبانى : ويعنى بالرى : ما يقيمه حتى لا يموت ، وقد يتوقف في الاكتفاء بهذا ، قال المتولى : ولا يجوز الحلب إذا كان يضر بالبهيمة لقلة العلف ، قال : ويكره ترك الحلب إذا لم يكن فيه إضرار بها لأنه تضييع للمال ، قال والمستحب ألا يستقصي في الحلب ويدع في الضرع شيئا وأن يقص الحالب أظفاره لئلا يؤذيها "(١) ، وفي هذه دعوة لعدم التلوث الغذائي وكذلك الحفاظ على الحيوان والرفق به لأن الأظفار تؤلمه .

ومن صور اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالحيوان أن وضع نظما لبيعه وإجارتها "فلو قال رجل لآخر : أجرتك هذه الدابة لتحمل عليها ما شئت لم يصح العقد على الرغم من أن عقد الإجارة يكون صحيحا في حالة إجارة الأرض ليزرعها المستأجر بما يشاء من الزرع والسبب أن الدواب لا تطيق كل ما تحمل به(٢) كما تحدث الرسول الكريم في تسميتها ووسمها وتقليدها الأوتار واشتراكها في الحروب وفي المسابقات وفي كراهة اختلاط نسلها وكراهة نقل عدوى الأمراض بينها وغير ذلك مما يدلل على حرص السنة النبوية على احترام الحيوان والاهتمام به وحسن رعايته .

٢-النهي عن الإساءة إلى الحيوان وإيذائه :

إن قتل الحيوان والقضاء على هذه النعمة الكبرى لهو أشد صور الإساءة إليها ولقد تجلت حكمة الله-سبحانه وتعالى – في الحفاظ على حياة الحيوان بتحريم صيده في فترة معينة في حياة الإنسان وذلك حين يكون محرما للحج أو العمرة ولولا هذه العناية الإلهية لتعرضت هذه الحيوانات للانقراض نتيجة لما يتوافد في موسم الحج من أعداد تزيد عن المليونين من البشر أحيانا في زمان ومكان معينين سنويا.

---

(١) الإمام النووى ، روضة الطالبين ، مرجع سابق، ج١، ص ٥٢٠.
(٢) المرجع السابق ، ج٤، ص٢٧٧.

ولقد نوه الرسول إلى ذلك عملا بما قضى الله به فقد رد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لحم صيد أهدى إليه وهو محرم وقال : "إنا لا نأكله إنا حرم وفي رواية أخرى " لولا أنا محرمون لقبلناه منك "(١)

لقد كان لى هذا التحريم المؤقت بموسم الحج ضمان لعدم تعرض هذه الحيوانات للانقراض في حالة لو سمح بصيدها طوال العام لتكاثرت وازدادت أعدادها بصورة تهدد حياتها جوعا وعطشا .

ولم يكن هذا التحريم مطلقا بل كان خاصا بالحيوانات التي ينتفع بها الإنسان حفاظا عليها أما ما عدا ذلك من الحيوانات غير النافعة أو الضارة فقد أحل قتلها في الحل والحرم قال النبي (صلى الله عليه وسلم) " خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع والفارة والكلب العقور والحديا " وقد قيل فواسق لخروجها بالإيذاء والإفساد عن طريق الدواب وقيل لخروجها عن حكم الحيوان في تحريم قتله في الحل والحرم وقال العلماء ليس المراد بالكلب العقور تخصيص هذا الكلب المعروف ، بل المراد كل عاد مفترس كالسبع والنمر والذئب ونحوها وأحل قتل الحدأة لأنها طائر خبيث هو أخس الطير يخطف الأفراخ (٢).

وقد أورد الفقهاء أحكاما فقهية تدل على الحفاظ على الحيوان حتى آخر شيء يملكه الإنسان فقد قيل "إذا أبحرت سفينة في لجة البحر وكان بها لوح مغصوب فلا ينزع هذا اللوح إذا خيف من النزع هلاك حيوان محترم كذلك إذا أشرفت سفينة على الغرق فلا يجوز إلقاء الدواب في اليم إذا أمكن دفع الغرق بإلقاء غير الحيوان من الأمتعة ،أما

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ، ج٢ ،ص ٨٥١.
(٢) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٨٥١.

إذا أصبحت الحاجة ماسة إلى إلقاء الدواب ألقيت لإبقاء الآدميين[١]. فجعل بقاء الحيوان يلي بقايا الأموال والأمتعة وذلك حفاظا على هذه الروح التي خلقها الله (سبحانه وتعالى) وفي هذا دعوة كريمة للحافظ على الحيوانات من الانقراض وبذل الجهود لزرع أجيال من الحيوانات التي قاربت على الفناء والانقراض .

كما نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عما هو أقل درجة في الإساءة والإيذاء من قتل الحيوان كتعذيبه بالحبس وبالحرمان من الطعام والشراب فقال : " **عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**[٢] **(أى هوام الأرض وحشراتها)** .

وروى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل حائطا لرجل من الأنصار ،فإذا جمل فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم)حن وذرفت عيناه ،فأتاه النبي (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت ، وقال : من رب هذا الجمل ؟لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لى يا رسول الله ، قال :أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه اشتكى لى أنك تجيعه وتدئبه" [٣] **(يريد تكده وتتعبه)**. وهذا يدل على شعور الحيوانات بضرر من البيئة المؤذية ، والإنسان دائم الشكوى من التلوث البيئي فما بال الحيوان الذي لا نسمع شكواه ولا نعرف مدى إحساسه من هذا التلوث والذي قد يؤدى إلى فنائه دون أن نشعر بهذا الضرر.

---

(١) الإمام النووى ، روضة الطالبين ، مرجع سابق، ٧ ، ص ص ١٩٠ : ١٩١.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٤ ، ص ١٧٦.
(٣) المرجع السابق ،ج٤ ،ص ٢٤٨.

وفي حديث آخر يدل على الرعاية للحيوانات والدفاع عنها "بينما نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير فجاء فقال بعنيه فقال لا بل أهبه لك فقال لا بعنيه قال لا بل نهبه لك وانه لأهل بيت مالهم معيشة غيره قال أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا"(١) وهذا ما يؤكده الفقهاء بقولهم " يحرم تكليف الدابة ما لا تطيقه من أحمال ثقيلة وكذا السير بها مسافات طويلة دون توقف حتى وإن كانت تطيق مثل هذه الأشياء في فترات دون أخرى لأنه يحرم تحميلها ما لا تطيق الدوام عليه"(٢)، وفي هذا دعوة كريمة للتخفيف عن الحيوانات وعدم استغلالها ومراعاة حقها في الطعام والراحة .

كذلك نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الإساءة إلى الحيوان وتعذيبه بالحرمان من الولد ومن ذلك ما رواه ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان ، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها "(٣) فحرص الرسول الكريم على عدم إزعاج الحيوانات دليل على احترامه لعناصر البيئة ،إذن فما جزاء من يقطع الأشجار التي هي مأوى لكثير من الطيور وفي ذلك هدم لأعشاشها وبيوتها ؟

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج ٤، ص١٣٠

(٢) الإمام النووى ، روضة الطالبين ، مرجع سابق، ج٦ ، ص٥٢٤.

(٣) الإمام النووى ، رياض الصالحين ، مرجع سابق، ص ٤١٤.

obeikandl.com

كما حرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) الخداع في بيع الحيوان والإضرار به وهو ما يعرف بالتحفيل وهو حبس اللبن في ضرع الحيوان لخداع المشترى بأن هذا الحيوان يتمتع بصحة جيدة ووفرة في اللبن فقد قال (صلى الله عليه وسلم) " **لا تستقبلوا السوق ولا تحفلوا ولا ينفق بعضكم لبعض** " (١) وفي هذا غش للدابة وهو نوع من الابتزاز المضر للحيوانات فحبس اللبن قد يضر بها .

وحرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تعذيب الحيوان بالنار فقد روى ابن مسعود (رضى الله عنها) أنه رأى قرية نمل قد حرقناها فقال : لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار (٢)

كما أنه ليس لمالك الحيوان أن يتصرف فيه بما يؤدى إلى هلاكه " **فمن رأى إنسانا يتلف مال نفسه جاز له دفعه وإن كان حيوانا ، فمن رأى رجلا يشدخ (يشج) رأس حماره وجب عليه دفعه على الأصح**" (٣) وفي هذا دعوة للحجر على من يسئ إلى البيئة فمن يعامل حيوانا بسوء بدعوى أنه يملكه هو خاطئ ولابد من محاسبته ، وهذا نجده في غير الدول الإسلامية مطبقا فنجد قضية كبيرة خصص لها القضاء والمحاكم من أجل رجل يسئ إلى كلبه أو امرأة تسيء إلى قطتها ، فمن الأولى أن يكفل المسلمون تلك الرعاية ويطبقونها في دولهم لنها منبع السنة النبوية وخصيصة هامة من خصائص التربية البيئية .

---

(١) الإمام الترمذي ، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥٦٨.
(٢) الإمام أبوداود ، مرجع سابق، ، ج٣، ص٥٥.
(٣) الإمام النووى ، رياض الصالحين ، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

ونهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيضا عن تعمد نقل الأمراض بين الحيوانات فقال :" لا يورد مرض على مصح " حتى لا تنتقل عدوى المرض بينهم وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك بقوله لا عدوى .

ورغم أن سب الحيوانات أو لعنها يعد أقل درجات إيذائها والإساءة إليها إذا ما قورن بما سبق من صور الإساءة إلى الحيوان إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد نهي عن مجرد سب الحيوانات فقد روى أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان في سفر فسمع لعنة فقال ما هذا ؟ قالوا هذه فلانة لعنت راحلتها فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) ضعوا عنها فإنها ملعونة (١) وقال (صلى الله عليه وسلم) : لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة "(٢)

وبذلك نهي الرسول الكريم عن سب الحيوانات أو إيذائها بأقل شيء حتى بالقول لأنه يعلم أن هذه الحيوانات تشعر وتحس بأقل شيء والدليل على ذلك الجمل الذي اشتكى للرسول (صلى الله عليه وسلم) سوء معاملة مالكه وكثرة ضربه وهو ما يدل على اهتمام السنة النبوية بمقومات التربية البيئية التي تراعى الثورة الحيوانية والاهتمام بالمحافظة على الحيوان وتنميته من أجل بقائه ومن أجل حماية البيئة سواء البرية أو البحرية.

٢- النهي عن استخدام الحيوان في غير ما خلق له :

خلق الله الحيوان لنفع الإنسان وعونه ولم يخلقه ليعبث الإنسان وليهو به وعملا بذلك فقد نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن قتل الحيوان لغير منفعة .ولقد خلق الله هذه المخلوقات ليستخدمها الإنسان فيما ينفعه كالأكل والحلب والعمل بالزراعة وغير

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٤ ،ص ٢٠٠.
(٢) الإمام أبوداود ، مرجع سابق، ، ج٤، ص ٣٢٧.

ذلك إما أن يستخدمها في اللهو والعبث فهذا ما حث رسول الله على تجنبه لعدم استخدام الحيوان في غير ما خلق له وروى أبو هريرة (رضى الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال " بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت لم أخلق لهذا خلقت للحراثة "(١).

وفي الحديث السابق دعوة لاستخدام الحيوان في الغرض المخصص له وعدم اللعب به فالدول التي تدعو إلى ممارسة مبادئ التربية البيئية هي نفسها من أكبر الدول خطرا على البيئة بأفعالها لا إنسانية في التعامل مع الحيوان برغم الصورة الإعلامية التي تعطى انطباعا بأن هذه الدول هي حماة البيئة وناشري جمعيات الرفق بالحيوان ، فمن هذه الدول نجد من يستخدم الثيران في المهرجانات باللعب واللهو والجرى وراء المغامرين بل هو نوع من اللهو السمج وهو إهدار لطاقة الإنسان والحيوان وهو نوع من تعريض الإنسان للتهلكة وهو نوع من الانتحار الجماعي وليس فيه من البطولة شيء .

كما أن استخدام الكلاب في مسابقات الجرى والسرعة وهو أيضا استخدام في غير ما خلق له والكلب يحمل الكثير الكثير من الأمراض مهما أتى الإنسان بوسائل النظافة فهو يحمل في لعابه أمراضا شتى ولا يتخذ الكلب إلا للحراسة أو حماية الأراضي الزراعية أما غير ذلك فهو نوع من الافتراء على البيئة .

وتتضح الإساءة إلى الحيوان وإيذاؤه باستخدامه في غير ما خلق له كأن يتخذ مرمى أو هدفا فقد مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على طائر قد اتخذه بعض الناس هدفا يصوبون إليه ضرباتهم ، فقد روى مسلم ابن عباس أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال : " لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا "(٢) ، فنجد هذا في طقوس كثير من الشعوب التي تتخذ

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٣٦.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق،ج٣ ، ص ١٤٩.

من الحيوانات بصفة عامة ملعبا وهدفا يصوبون إليهم الضربات الموجعة والتي تضر بهم وهذا ليس بقصد الانتفاع بل من أجل الترفيه على الإنسان وتعذيب للحيوان ، فنجد المهرجانات تعقد على حرب الديكة وغيرها .

كما نهي **الرسول الكريم** عن الوسم وهو رسم يوضع على جسم الحيوان فهذا يعد نوعا في تغير **خلق الله** فقد ورد "عن معمر عن الزهري قال رأى **رسول الله صلى الله عليه وسلم** بعيرا قد وسم في وجهه فقال من وسم هذا فقالوا العباس فقال أتسم في الوجه وأنت عم **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال **والله** لا أسم الا في أبعد شيء من الوجه فكان يسم في الجاعرتين"(١) **"عن جابر بن عبد الله قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا قد وسم في وجهه فقال لعن الله من فعل هذا"**(٢) .

فالوسم يتضمن تعريض الإنسان لتعذيب بكى بالنار على جسمه من أجل رسم صورة أو شكل وفي هذا دعوة نبوية للحفاظ على الحيوان وعدم إيذائه .

و"عن ابن عمر رضي **الله** عنهما أنه دخل على يحيى بن سعيد وغلام من بني يحيى رابط دجاجة يرميها فمشى إليها ابن عمر حتى حلها ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال ازجروا غلامكم على أن يصبر هذا الطير للقتل فإني سمعت **النبي صلى الله عليه وسلم** نهي أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل"(٣) .

والصبر بمعنى حبس الدابة حتى ترمى بشيء يقتلها ويهلكها ففي الصبر نوع من التعذيب للحيوان وليس الغرض منه إلا اللهو ثم رمى هذه الدابة بشيء حتى تموت مصبورة

---

(١) المرجع السابق ، ج٣، ص ١٧٣.
(٢) المرجع السابق ، ج٣، ص ١٧٤.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق،ج ٥ ، ص٢١٠.

أي محبوية وفي هذا إيذاء كبير لعناصر البيئة ولقد الخلق الله هذه البيئة بصورة متوازنة وليس بها نقص وهناك حيوانات تعتمد على الأخرى وكل في فلك يتكافل بعضهم على بعض في دقة متوازنة وعند تدخل الإنسان بقتل بعض الحيوانات التي قد تكون في الظاهر ضارة إلا أن منفعتها قد تكون أكثر من ضررها .

كذلك نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن" المجثمة (وهي الميتة كراهة أو مجبرة عليه) يقول عن أكلها وعن لبن الجلالة والشرب من في الإناء"(١) كما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن تصبر البهيمة ونهي عن أكلها يتخذ غرضا يعبث بها "(٢) والجلالة هي التي تجول وتأكل كل شي ء حتى لو كان هذا الأكل ملوثا بالبيئة فهي تتغذى عليه ثم يأكله الإنسان في صورة لحم شهي نمى على ملوثات عديدة .

كما رأى الرسول في تربية الغنم الخير ما يدلل على اهتمامه بها "عن أم هانيء قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إتخذي غنما يا أم هانيء فانها تغدو بخير وتروح بخير "(٣) وهذا نوع من الاهتمام بالبيئة الحيوانية ورعاية لكل نافع ففي الغنم الكثير من الفوائد الغذائية والصحية وكلها منافع من جلدها ولحمها ولبنها .

وتربية الغنم هي مهنة الأنبياء والصالحين ففيها البركة وبها الخير والنماء وزيادة الثروة الحيوانية يؤدى إلى اكتفاء كثير من الدول بالغذاء المفيد .

كما اتخذها مصدرا لنزول البركات "عن أم هانيء قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالي لا أرى عندك من البركات شيئا فقلت وأي بركاتي تريد قال إن الله

---

(١) الإمام الترمذى ، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٠.
(٢) المرجع السابق ، ج٤ ، ص٧١.
(٣) الإمام أبو بكر الهيثمى ،مجمع الزوائد ، مرجع سابق، ج٤، ص٦٦

عزوجل أنزل بركات ثلاثا الشاة والنخلة والنار قلت روى لها ابن ماجه اتخذي غنما فان فيها بركة"(١).

ومما سبق يتضح أن جمعيات الرفق بالحيوان التي تنتشر في مناطق كثيرة من العالم وتعد نوعا من التحضر والتمدين ليست بجديدة بل أرسى مبادئها الإسلام ولو فهم القائمون على جمعيات الرفق بالحيوان الأحاديث التي قالها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) لاتخذوها دستورا لهم فهذه الجمعيات تنشط في مجال التربية البيئية وهي المجالات الخاصة بحماية النوعيات أو السلالات النادرة من الانقراض نتيجة تعدى الإنسان عليها سواء بالصيد أو اللهو وتنشط أيضا في مجال حماية الحيوانات من إجراء بعض التجارب عليها بما يعرضها للخطر كالتجارب الخاصة باختبار فعالية بعض الأمصال الدوائية وهذه النشاطات إنما هي سلوك الرسول المعلم الأول للبشرية في تعامله مع الحيوانات فقد منع الصيد الجائر واللهو بالحيوانات وحفظ النوع وعدم المساس بالحيوان إلا إذا كان له منفعة وحتى أن ذبحه الذي يمثل إحدى منافع الحيوان ، له شروط غاية في الصرامة وهي تعادل شروط المراكز الصحية وهيئة الطب البيطرى في العصر الحديث وكذلك عملية حلب اللبن لها نظمها الخاصة وقد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على عملية الحلب أن تكون في غاية النظافة وبدون مساس بسلامة الحيوان أو تعريضه للمرض والضعف ، وكل هذا يعد من صلب مبادئ التربية البيئية والمتمثلة في السنة النبوية .

---

(١) المرجع السابق ، ج٤، ص٦٦

[ج] النبات :

لقد اهتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالزراعة ومنافعها وعن النباتات وجمالها وعن الأشجار ونضرتها وعن الثمار ولذتها وعن وجوب تنمية هذه الزروع حتى تؤتى ثمارها في أكمل صورة وحتى يكون المؤمن الصادق أو المسلم الحق شبيها بها أو هي شبيه به ومما يدلل على اهتمام السنة النبوية بأهمية الزراعة والنباتات ، فقد ذُكرت النباتات على اختلاف أنواعها ومسمياتها في الأحاديث النبوية كالآتي:

(الزرع) وردت هذه اللفظة في ستة عشر موضعا في الأحاديث النبوية ، (النخل) وردت هذه اللفظة في ثلاثة وخمسين موضعا في الأحاديث النبوية ، (الشجر) وردت هذه اللفظة في أربعين موضعا في الأحاديث النبوية ، (العنب) وردت هذه اللفظة في عشرة أحاديث نبوية ، (الثمر) وردت هذه اللفظة في ثمانية وعشرين موضعا في الأحاديث النبوية (التمر) وردت هذه اللفظة في سبعة وستين موضعا في الأحاديث النبوية (البصل والثوم والكراث) وردت هذه الألفاظ في ثمانية أحاديث نبوية ، (الحبة السوداء) وردت هذه اللفظة في خمسة أحاديث نبوية .

اهتمت السنة النبوية بالنباتات اهتماما كبيرا لما لها من أهمية في إعالة الحياة وتحقيق التوازن البيئي فقد أودع الله (سبحانه وتعالى) في مكونات النباتات الكثير من المنافع الملموسة وغير الملموسة التي سخرها بقدرته وحكمته لخدمة الإنسان وتوفير الكثير من متطلبات حياته .

وإذا حللت المنافع التي تقدمها النباتات للإنسان نجد أنها عديدة ، إذ تلعب النباتات دورا مهما في إحداث التوازن في تركيبة الهواء خاصة غازي الأكسجين وثاني

أكسيد الكربون والتوازن في الدورة الهيدرولوجية (الدورة المائية) من خلال عملية النتح وحماية التربة من الجرف لما للغطاء النباتي من قدرة كبيرة على مقاومة عوامل الجرف المائي والهوائي كما تمد الإنسان بمنافع كثيرة منها أنها تعتبر مخزناً للسلالات والجينات الوراثية التي لا غنى عنها في استمرار برامج تطوير وتهجين سلالات جديدة ذات إنتاجية عالية ومقاومة للآفات والأمراض النباتية والحيوانية فمن المعروف أن المحاصيل الزراعية والحيوانات المرباة تفقد مع مرور الوقت جيناتها الوراثية الجدية مما يؤثر في درجة إنتاجيتها ومن ثم يقتضي الأمر تهجين واستنباط سلالات جديدة ذات إنتاجية عالية بصفة دورية وتعتمد هذه العلمية على ما تحمله أقارب هذه المحاصيل في البيئة الطبيعية من جينات وراثية جيدة كما خلقها الله سبحانه وتعالى كما أن للبيئة الحيوية أهمية طبية حيث تضم نباتاتها وحيواناتها الكثير من المواد أو العناصر الفعالة في صناعة الدواء ومما يدعو للأسف أن البيئة الحيوية في تدهور مطرد نتيجة الاستغلال المفرط والجائر وتشير ورقة عمل أعدها برنامج الأمم المتحدة للبيئة (اليونب) ومنظمة الفاو والبنك الدولي (١٩٨٨) أن الغابات المدارية تختفي بمعدل ١١ مليون هكتار سنويا وأن نصف الغابات المدارية في العالم قد اختفي منذ بداية القرن الحالي ، وأن هناك حاجة لاستثمار نحو ٨ مليار دولار على مدى السنوات الخمس القادمة لتنمية الغابات واحتواء الأثر الضار لإزالة الغابات(١) .

كماحرصت السنة النبوية على تنظيم علاقة الإنسان بالنبات شأنه في ذلك شأن جميع عناصر البيئة الطبيعية وهي إذ أوضحت للمسلمين أبعاد العلاقة بينهم وبين النبات

---

(١) سالم مرزوق الطحيح ، البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق، ٢٠٠٣/٨/١٠م.
Available [online] (www.islamset.com).

والقائمة أساسا على انتفاعهم بشتى أنواعه انتفاعا جما فقد اتجهت إلى تنظيم تلك العلاقة تنظيما يرتكز على عدة أسس إسلامية من أهمها ما يلى: -

١. الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها
٢. تنظيم الزراعة
٣. النهي عن إهلاك النباتات وقطع الأشجار

١-الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها :

وردت الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها خلال آيات القرآن الكريم ، ليزداد المسلمون حرصا على تنفيذها والالتزام بها وتزداد هذه الدعوة وضوحا في الأحاديث الشريفة التي يحث الرسول (صلى الله عليه وسلم) المسلمين فيها على تعمير الأرض بالزرع والنبات والأشجار فيقول (صلى الله عليه وسلم) " من كانت له أرض فليزرعها "(١)

وقال (صلى الله عليه وسلم) :" ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة(٢) وقال (صلى الله عليه وسلم) : " ما من يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة"(٣) أى أن ثواب الزارع مستمر ما دام الزرع مأكولا منه حتى ولو مات ذلك الزارع أو انتقل ملكه إلى غيره .

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٧٦.
(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٣٥.
(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٨٨.

obeikandi.com

وهكذا ربط الرسول الزراعة وغرس الأشجار وزراعتها ورعايتها بالأجر وجعلها صدقة جارية يكتب أجرها للمسلم الذي يقوم بذلك فكان في هذا حث قوى للمسلمين على الالتزام بهذه الدعوة عن إيمان واقتناع فهم قد تعرفوا بداية على ما يجنونه من منافع وفوائد عن تلك النباتات ثم ارتبطت في أذهانهم بالأجر والثواب في الدنيا والآخرة .

ولقد بلغ من تنبيه أتباعه (صلى الله عليه وسلم) إلى فضل الزراعة ،أن بعض الناس قد اشتهاها وهو في الجنة ، ، فعن "أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يوما يحدث أصحابه وعنده رجل أعرابى ،فقال (صلى الله عليه وسلم) : إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع ، فقال له ربه (عزوجل) ألست فيما شئت ؟ أى ألست تعيش في جنة فيها ما شئت من زروع وثمار – فقال الرجل بلى ولكني أن أحب أن أزرع ، قال (صلى الله عليه وسلم) فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان مثل الجبال ،أى :أن الله (تعالى)أذن لذلك الرجل في الزراعة فألقى بذره في أرض الجنة فنما الزرع بسرعة حتى صار ضخما – فقال الله (تعالى) للرجل دونك (أى : خذ زرعك) يا بن آدم فإنه لا يشبعك شيء !! فقال الأعرابى : يا رسول الله إن هذا الرجل إما أن يكون قرشيا أو أنصاريا ، وأما نحن أهل البادية فلسنا أصحاب زرع فضحك النبي (صلى الله عليه وسلم)"[(١)] ومن خلال الحديث السابق نستطيع القول أن الزراعة أصبحت سلوكا لا يستغنى عنه المسلم وهذا لم يأت من فراغ وإنما من كثرة دعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) للزراعة وثوابها حتى أن المؤمن لا يستغنى عنها وهو في الجنة مهما توافر له من كل الثمرات إلا أنها أصبحت طبيعة داخله .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج٢ ، ص٨٢٦.

ويستخلص مما سبق أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دعوته إلى استنبات الأرض وزراعتها ليست هذه الدعوة من فراغ بل حرصا على حياة البيئة الطبيعية وحماية لها من الأخطار المحيطة بها ومنها التصحر وهي من أخرط المشاكل البيئة التي يعانى منها الكثير من البلدان الإسلامية .

٢-تنظيم الزراعة :

اهتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالزراعة والمحصولات الزراعية اهتماما كبيرا كما حرص على بث هذا الاهتمام في نفوس المسلمين لئلا يغفلوا عن أهميتها في حياتهم ولكيلا ينصرفوا عنها وقد بلغ من اهتمامه بهذه الأمور أن وضع لها من النظم ما يكفل لها الاستمرارية والبقاء وما يجنب المشتغلين بها الخلاف والانشقاق .

ومن هذه النظم " المزارعة " وهي نوع من التعاون بين العامل وصاحب الأرض على أن يكون للعامل الذي يقوم بزراعة الأرض نصيب مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الأكثر من ذلك أو الأدنى حسب ما يتفقان عليه والمزارعة عمل بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعمل بها أصحابه من بعده فقد أخبر عبد الله بن عمر(رضى الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عامل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وأخبر قيس بن مسلم عن أبى جعفر قال : ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع (١)

ومن نظم المزارعة ما هو جائز وما هو منهي عنه فقد أجاز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المزارعة بالنقد وبالطعام وبغيرهما مما يعد مالا على حين نهي عن المزارعة

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٣٧.

الفاسدة التي يكون نصيب العامل فيها مقدارا معينا مما تخرج الأرض أو قدرا معينا من مساحة الأرض تكون غلتها له إذ أنه قد يهلك هذا ويسلم هذا أو يسلم هذا ويهلك هذا لذلك زجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك.

ومن نظم الزراعة التي أجازها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المؤاجرة والمشاركة قال عبد الرحمن بن الأسود كنت أشارك عبد الرحمن بن يزيد في الزرع (١).

وفي جملة الأحاديث السابقة تدعو إلى نظام المؤاجرة والمشاركة وفي هذا حث على عدم ترك الأرض بور والمساهمة في الزراعة والإنتاج والتعمير والاهتمام بالبيئة ومكوناتها والاستفادة منها بقدر معقول يوازي بين متطلبات البيئة ومتطلبات التنمية وهي ما تسعى إليه التربية البيئية .

ووضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نظما في الرى والمساقاة والمساقاة في الشرع هي دفع الشجر لمن يقوم يسقيه ويتعهده حتى يبلغ تمام نضجه نظير جزء معلوم من ثمره وروى أن الأنصار قالت للنبى (صلى الله عليه وسلم)أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا فقالوا : تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة قالوا : سمعنا وأطعنا(٢) أى أن الأنصار أرادوا أن يشركوا معهم المهاجرين في النخيل فعرضوا ذلك على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأبى فعرضوا أن يتولوا أمره ولهم الشطر فأجابهم ؛ وفي الحديث دعوة لعدم التواكل فالنخيل قائم فعلا ولكن الرسول الكريم أراد أن يشرك المهاجرين في العمل حتى يكونوا حريصين على تنمية النخيل والاهتمام به وهي دعوة لعدم التصحر وزيادة النخيل بدلا من قسمته .

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٣٧.
(٢) المرجع سابق، ج٣ ، ص ١٣٦.

كذلك وضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نظما في بيع الثمار والزروع ومن ذلك أنه نهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها ونهي عن بيع النخل حتى يزهو وعن بيع السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة ومن النظم التي وضعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيع الثمار والزروع قوله : من ابتاع نخلا بعد أن تؤبر فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع (١).

لقد كان اهتمام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باستنبات الأرض وزراعتها عظيما لإداركه ما يترتب على ذلك من نفع وفائدة للمسلمين جميعا كما كان حرصه على دفع المسلمين على الإقبال على الزراعة وعدم الانصراف عنها واضحا خاصة فيما وضع لها من نظم وتوجيهات .

٢-النهي عن إهلاك النبات وقطع الأشجار :

لقد بدا النهي عن إهلاك النبات وقطع الأشجار واضحا في القرآن الكريم إذ كان هذا السلوك من صفات وعلامات المنافقين المبغضين عند الله والمفسدين في الأرض وبعد هذا هل يجرؤ مسلم على الإتيان بما يجعله في زمرة المنافقين المفسدين في الأرض والمكروهين من الله – عز وجل!؟.

وكان رسول (صلى الله عليه وسلم) ينهي المسلمين عن قطع الأشجار وإتلاف النبات ومن ذلك قوله " **من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال : هذا حديث مختصر يعنى : من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار**"(٢).

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٥١.
(٢) أبو داود ، مرجع سابق، ج٤ ، ص ٣٦١.

وفي مقابل هذا وإيمانا بأهمية الأشجار في حياة الإنسان فقد أجاز **الرسول (صلى الله عليه وسلم)** قطع أشجار الكفار وتحريقها لأنهم لا يستحقون فضل التمتع بهذه النعمة "فعن ابن عمر: أن **رسول الله** قطع نخل بنى نضير"(١).

ولقد بلغ من حرص **رسول الله (صلى الله عليه وسلم)** على عدم إهلاك الزرع والنبات أن وضع نظما لضمان ما أتلفه الغير من الزروع والثمار ومن ذلك أن من سقى أرضه سقيا زائدا على المعتاد فأفسد زرع غيره ضمن ، فإذا انصب الماء من موضع لا علم له به لم يضمن حيث لم يحدث منه تعد "(٢)

كما وضع **(صلى الله عليه وسلم)** نظاما لضمان ما أتلفته المواشى من الزروع والثمار فإذا كان معها مالكها سواء كان راكبها أو سائقها فعليه ضمان ما أتلفته وإذا انطلقت بدونه فأفسدت بالنهار فلا ضمان على صاحبها لأن أصحاب الحوائط والبساتين يحفظونها بالنهار وأصحاب المواشى يسرحونها بالنهار ويردونها بالليل فمن خالف هذه العادة كان خارجا عن رسوم الحفظ إلى التضييع وفي ذلك قال **رسول الله (صلى الله عليه وسلم)** إن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشى بالليل ضامن على أهلها "(٣)

لقد كان في هذا كله حرص واضح من جانب **رسول الله (صلى الله عليه وسلم)** على توجيه المسلمين إلى حفظ النباتات والزرع وصونها وتجنب إهلاكها أو إتلافها لما في ذلك من تقدير لنعمة عظيمة من نعم الله يعم خيرها المسلمين جميعا .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، ، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٣٦٥.
(٢) السيد سابق ، مرجع سابق،ج٢ ، ، ص ٤٩.
(٣) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٤٨٣.

*وخلاصة القول أن الاهتمام باستزراع النباتات وحمايتها لم يكن وليد العصر ولا من محدثات الزمن ، بل دعا إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً فقد كان الرسول الكريم (صلي الله عليه وسلم) يرغّب أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات وحمايتها والمحافظة عليها وهذا وضح من خلال أحاديث الرسول السابقة في مجال النباتات والزراعة وكانت الأوامر تصدر صريحة إلى قواد المسلمين تنهاهم عن قطع الأشجار أو تدميرها وضرورة المحافظة عليها كما أعطي الإسلام لولي الأمر الحق في إقامة الحمي (المحميات الحيوية) إذا كان ذلك في صالح المسلمين ، وقد أدرك العالم قريبا أهمية المحمية الحيوية في حماية البيئة الحيوية ، وهي الدعوة التي تبناها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً .

وتلك الأحاديث النبوية الشريفة السالفة الذكر دعوة صريحة تربي فينا السلوكيات البيئية الإيجابية نحو التخضير ونشر الخضرة في كل مكان وينال كل من يشارك في التخضير سواء بالدعم المادي أو الجهد البشري إنها دعوة للحياة الآمنة المستمرة .

كما أنها دعوة لحل مشكلة خطيرة قامت عليها المنظمات والمؤتمرات الحكومية والأهلية والخاصة بالبيئة والتربية البيئية وهي مشكلة التصحر ، فالدعوة الرسول الكريم هي دعوة لعدم التصحر بنشر الخضرة في ربوع الأرض حماية للبيئة من الأخطار المحدقة بها .

أسس علاقة الإنسان بعناصر البيئة الطبيعية غير الحية :

١- الماء

تحدثت التربية الإسلامية كثيرا عن الماء سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة ودللت على أهميته في حياة الكائنات الحية من بنى الإنسان والحيوان بدءا من اعتماد تكوينهم الجسماني عليها .

فالماء أساس الحياة ؛إننا لا نستطيع أن نتصور حياة بدون ماء وإن أمكن وجود حياة بدون هواء فلا يوجد كائن واحد صغر أو كبر يستطيع الحياة بدون الماء.

وقد اهتمت السنة النبوية بالحفاظ على المياه من الملوثات وقد ذكر لفظ الماء في الأحاديث النبوية (صحيح البخاري ومسلم)بكثرة مما يدلل على أهمية وجود الماء في حياة الإنسان ومن هذه المسميات :

(الماء) وردت هذه اللفظة في مائتين وستة أحاديث نبوية ، (ماءها) وردت هذه اللفظة في عشرة أحاديث نبوية ، (ماؤها) وردت هذه اللفظة في خمسة أحاديث نبوية (النهر) وردت هذه اللفظة في تسعة أحاديث نبوية ، (البحر) وردت هذه اللفظة في ثمانين موضعا في الأحاديث النبوية ، (البحار)وردت هذه اللفظة في خمسة أحاديث نبوية (شراب) وردت هذه اللفظة في ثلاثة وعشرين موضعا في الأحاديث النبوية.

إن الماء هو الحاضن الأول للحياة ويعتقد العلماء أن الحياة أول ما دبت على الأرض دبت في الماء وذلك في تفسير الآية.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

[هود :٧].

ويستخلص مما سبق أن قصة الماء مع الإنسان قصة طويلة تبدأ منذ كان نطفة في الماء ثم جنينا محفوظا في قرار مكين من كل أذى تصله أسباب الحياة كلها من أمه في الحبل السرى محمولة مع الماء ثم وليدا يرشف أول غذاء له من ثدى أمه لبنا سائغا قوامه

الماء بل إن الماء مع الإنسان حتى في آلامه وأحزانه يسكبه دموعا تغسل أشجانه فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة لا يتحمل الظمأ إلا يوما واحدا أو أربعة أيام.

ولقد حرصت السنة النبوية على تنظيم علاقة الإنسان بالماء وتنظيم استخدامه لهذا العنصر الحيوي من عناصر البيئة الطبيعية .

ويتجلى هذا التنظيم في أحسن صورة في أمرين هما :

١-الدعوة إلى حماية الماء وصيانته وترشيد استهلاكه

٢-النهي عن تلويث الماء

ويتضح هذان الأمران فيما يأتي :

أ- الدعوة إلى حماية الماء وصيانته وترشيد استهلاكه :

تحرص السنة النبوية على إحياء الوازع الديني في نفس المسلم تجاه الماء فهذا الماء قد أنزله الله عذبا نقيا وهو ماء طهور.

"وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَمِخَتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾

"[المرسلات :٢٧]

"..... وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ "

[الفرقان من :٤٨]

فكيف يسمح للمسلم أن يسيء إلى طبيعة هذا الماء فيبدل حاله من النقاء والطهارة إلى التلوث والنجاسة ؟

والإنسان لا يملك حق تغيير طبيعة الماء أو تبديل حاله لأنه ليس ملكا خاص به بل جعله الله للعالمين

".....وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾"

[النمل من :٦٠].

وحتى لو امتلك الإنسان شيئا منه فإنه لا يحق له أن يمنعه عن أى كائن حى :إنسانا كان أم حيوانا أم نباتا وهو بتغييره لطبيعة الماء بأى حال من الأحوال يكون قد منعه عن الغير إذ لن يستسيغه الشارب فينصرف عنه وقد حذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من منع الماء عن الغير وذلك نجده في" الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ وفي سنن أبي داود أن رجلا قال يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء قال يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الملح قال يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال أن تفعل الخير خير لك وفيه أيضا أن النبي (صلى الله عليه وسلم)قال "الناس شركاء في ثلاث الماء والنار والكلأ " وذهب أكثر العلماء إلى أنه لا يمنع فضل الماء الجاري والنابع مطلقا سواء قيل إن الماء لمالك أرضه أم لا وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم والمنصوص عن أحمد وجوب بذله مجانا بغير عوض للشرب وسقي الزروع"(١) .

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ،مرجع سابق ،ج١، ص ٣٠٨.

كما حذر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيع الماء الزائد عن الحاجة وذلك عندما شوهد رجل يبيع الماء فقال:" لا تبيعوا الماء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عن بيع الماء وقد وضح الإمام الشافعى معنى هذا الحديث أن لا يباع الماء في الموضع الذي خلقه الله فيه وذلك أن يأتي بالبادية الرجل له البئر ليسقي بها ماشيته ويكون في مائها فضل عن ماشيته فنهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مالك الماء عن بيع ذلك الفضل ونهاه عن منعه ثم ساق الكلام إلى أنه إذا حمل الماء على ظهره فلا بأس أن يبيعه لغيره لأنه مالك لما حمل"(١)

وهذا يعالج عدة مشكلات بيئية من بينها مشكلة التصحر ومشكلة احتكار المياه ومشكلة حروب المياة وإقامة السدود بين الدول لحجز المياه على دولة معينة وهذا يعد نوعا من الاهتمام بالبيئة والحرص على التوازن في توزيع المياه وهي من المبادئ الرئيسة للتربية البيئية .

كما تحرص السنة النبوية على تنمية دافع صيانة الماء والحفاظ عليه في نفس المسلم فهو يدرك أنه ليس بخازن للماء ولا يملك إنزاله إن منعه الله يقول الله تعالى :

" وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ "

[الحجر:٢٢]

(١) البيهقي ، مرجع سابق،ج ٦، ص ١٥.

obeikandl.com

و"عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار"(١).

والمسلم يدرك أن أمر نزول الماء لم يترك بلا ضوابط لأن الله مالك هذا الماء ووارث هذا الكون ينزل الماء بقدر وحساب ليشرب منه الأحياء ويستمر بقاؤهم على الأرض فهو القادر على إحياء الكائنات الحية كلها بالإبقاء على هذا الماء وهو القادر على إماتتها بالذاهب به ومنع نزوله .

إن تنبيه الإنسان إلى هذه الحقيقة ليدفعه إلى صون المياه والاعتدال في استخدامها وترشيد استهلاكه حتى لا يضيع هباء ولو توقف نزول المطر لعم الجفاف ونضبت الحياة وهلك كل من على الأرض فواجب على المؤمن أن يحفظ الماء وعدم الإسراف فيه حتى يتم الشكر الفعلى لنعمة الله .

يقول الله تعالى:-

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

[المؤمنون :١٨]

ويقول جل ذكره :-

(١) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ج: ٢ ، ص ٢٢١.

obeikandl.com

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الأنعام :٩٩]

ويقول أيضا :-

﴿ يُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾

[الأنفال :١١]

ويقول الله تعالى :-

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

[النور:٤٣] .

ومن جملة الآيات السابقة وغيرها نستنبط أن ماء المطر يأتينا من جهة السحاب وأن هناك قدرة عجيبة ونظاما دقيقا لتكوين السحاب وتيسير دوران الماء في هذا الكون.

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سلوكه وطريقة حياته يمثل التطبيق العملي لإرادة الله في حفظ الماء وعدم إضاعته فيما لا يفيد وفي الاقتصاد

في استهلاك الماء إذ كان يغتسل بالصاع(**خمسة أرطال**) إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد (**ربع صاع**) وروى أن رجلا سأل ابن عباس (**رضى الله عنهما**) كم يكفينى من الوضوء ؟ قال : مد قال : كم يكفينى للغسل ؟ قال : صاع فقال الرجل : لا يكفينى ، فقال : لا أم لك قد كفي من هو خير منك رسول **الله (صلى الله عليه وسلم)**" [(١)] وفي هذا يحرص الرسول حرصا شديدا على النماء لأنه يدرك أهمية للإنسان ولا يريد الإسراف فيه حتى ولو كان الوضوء على نهر جارٍ.

وكان رسول **الله (صلى الله عليه وسلم)** ينهي المسلمين عن الإسراف في استخدام الماء ،فالإسراف في الماء ظلم واعتداء وإساءة بالغة ، والإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية كأن يزيد في الغسل على ثلاث فقد جاء إعربى إلى **النبي (صلى الله عليه وسلم)** يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثا ثلاثا قال : " هذا الوضوء من زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم"[(٢)] وبذلك يحرص المسلم على عدم السرف في الماء لأنه محدود .

وفي عصرنا الحالى سوف تقوم حروب وصراعات من أجل مياه الشرب فقد ظلت حالة التوازن بين الموارد المائية العالمية والطلب عليها حتى منتصف القرن العشرين أى بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأ الانفجار السكانى في الظهور وخاصة في الدول النامية الصحراوية ومعظمها في المنطقة العربية ، فازدادت الحاجة إلى المياه رغبة في اتساع الأرض المنتجة للغذاء وإلى استصلاح الأراضى الصحراوية وإلى تخزين المياه بإقامة السدود على الأنهار والمجارى المائية كما هو حادث في مصر والعراق وسوريا وإلى البحث عن مصادر مائية تحت الأرض كما هو حادث في ليبيا ومصر وباقي الدول العربية وإلى ترشيد استخدام

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج١ ، ص ٢٨٩.
(٢) الإمام أبو بكر البيهقي ، مرجع سابق ،ج١ ، ص ٧٩.

المياه في رى المزروعات والشرب واستخدامات المصانع والاستخدام المنزلى ، وفي ضوء السنة النبوية واتخاذها الحلول السليمة لتلك المشكلات ما يدلل على أهمية التربية البيئية في ضوء السنة النبوية .

ذلك أن سلوك ثقافة الوفرة المائية التي اعتاد الناس عليها بمختلف صناعتهم أصبح يؤدى إلى إهدار واستنزاف وتلويث هذه الموارد بما أحدث خللا في التوازن بين الموارد المائية والطلب المتزايد عليها ، وبازدياد السكان المتوالى والمستمر تحول هذا الخلل إلى قضية بقاء تفرض نفسها على القيادات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تلك البلاد التي تقع في الحزام الصحراوى أو خارج الحزام المطرى ،وعلى العموم فقد انخفض نصيب الفرد من الموارد المائية العذبة الآن بمقدار الثلث بالمقارنة مع نصيبه عام ١٩٧٠م بسبب الزيادة البشرية بمقدار ١,٨ مليار نسمة منذ ذلك التاريخ ، وفي معادلة السكان والمياه تحدد الأماكن التي يتوقع بها المشاكل وإذا أراد الإنسان أن يبحث عن مؤشر واضح لندرة المياه فسوف يوجد في زيادة عدد الدول التي يرتفع بها عدد السكان عن المعدل الذي يمكن أن يكفيهم من كمية المياه العذبة المتوفرة ، وعندما يهبط الرقم إلى أقل من ١٠٠٠م٣ / للفرد سنويا فإن الأمة تعانى ندرة المياه ، ولقد حذر المركز الدولى للسكان في واشنطن من أن نقص المياه في العالم سيشكل تهديدا يؤثر على حياة واحد من كل ثلاثة أفراد مع حلول عام ٢٠٢٥م (١).

ولو طبقت مبادئ التربية البيئية في ضوء السنة النبوية بخصوص عدم الإسرف المياه لما احتاج الفرد إلى هذه الإحصائيات التي تدلل على وجود مشكلة ندرة المياه .

---

(١) أحمد محمد عمر ، " الماء والحياة بين الوفرة والندرة " ، سلسلة قضايا إسلامية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ع٦٦، (القاهرة : مطابع الأهرام ، نوفمبر ٢٠٠٠م) ، ص ص (٣٣ :٣٥).

ويتضح من كل ذلك أن السنة النبوية حذرت من العبث وسوء التعامل مع المياه بجميع مصادرها وعدم الإسراف في استخدامها ، لأن الماء الذي جعل الله كل شيء حى منه حتى إنه يعد من الأشياء النادرة الغالية ، فقد شددت السنة النبوية على من يسىء استخدامه ولكن الإنسان للأسف رغم هذا التشريع مازال يمعن الإساءة إلى الماء والإخلال بتوازنه في الطبيعة وهذا بطبيعة الحال انعكس على الكائنات الحية التي كانت تعمر هذه الأنهار والبحيرات وكانت تمثل مصدرا هاما للغذاء .

٢- النهي عن تلويث الماء :

مياه المطر وهي أصل المياه العذبة مهداة من الله (عزوجل) قد لوثها الإنسان بفعله فقد غير من طبيعتها الفطرية وأفسدها إذ أصبح المطر يسقط في مناطق كثيرة (خاصة في البيئات الصناعية) مطرا حمضيا يهلك الحرث والنسل ... ، فقد بلغ الأس الهيدروجينى (PH) للمطر في بعض المناطق الصناعية وهو معدل يجعل مياه الأمطار عالية الحموضة محدثة أضرار كثيرة فقد فقدت مئات من البحيرات في أمريكا الشمالية وشمال غرب أوربا نتيجة ارتفاع درجة حموضة مياهها بسبب المطر الحمضى ،معظم ما بها من ثروات سمكية وأصبحت (٩٠) بحيرة في منطقة جبال أدرونداك في ولاية نيويورك (على سبيل المثال) خالية تماما من الأسماك تحت تأثير الحموضة المتزايدة لمياه البحيرات وهي حموضة قاتلة للأحياء .إضافة إلى ذلك أن حموضة مياه البحيرات تعمل على تحرر المعادن السامة من قاع البحيرات وتحول المياه بها إلى مياه سامة ولا يقتصر تأثير المطر الحمضى على الإضرار بمياه النهار والبحيرات وإنما يمتد تأثيره إلي مخاطر كثيرة فقد أعلن فريق من الباحثين في جامعة نيوها مبشير بالولايات المتحدة الامريكية (١٩٨٥) أن المطر الحمضي يمنع حاسة الشم عند سمك السالمون ، ولهذا يفقد قدرته على إيجاد طريقة نحو

مجاري الأنهار العليا من أجل وضع بيضة وإتمام عملية الفقس كما بدأت تضر الأمطار الحمضية بالمحاصيل الزراعية تحت تأثير ترسب كميات كبيرة من المواد الحمضية في التربة مما يغير من تركيبها الكيماوي في اتجاه الحموضية المتزايدة التي تضر بل تقتل النباتات إذ تعمل الحموضة الزائدة في التربة على إفقار التربة نتيجة إزالة الكاثيونات " **الأيونات الموجبة** " منها التي تعتبر القاعدة الأساسية لتغذية النباتات مثل الكالسيوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم(١) .

كما يؤدي المطر الحمضي إلى "تدمير الكثير من الأشجار والنباتات حيث تصاب بظاهرة الموت التراجعي حيث تموت الأشجار واقفه كما يقولون إذ تتلف الأوراق العلوية المعرضة مباشرة للمطر الحمضي الذي يقتل المادة الخضراء فيها ثم ينتقل التأثير بعد ذلك إلى الأوراق التحتية فقد أوضح تقرير من ألمانيا الاتحادية (١٩٨٠) أن مساحة من الغابات تقدر بنحو ٥٦٠ ألف هكتار أي حوالي ٧ر٧٪ من مجموع مساحات الغابات في ألمانيا قد دمرت أو أتلفت بدرجات متفاوته نتيجة المطر الحمضي والضباب الحمضي"(٢)

هذه المخاطر والمشكلات التي نعاني منها هي نتيجة طيبعية لما ارتكبه الإنسان في حق بيئته من فساد وإفساد نهانا عنه الإسلام ، فهو من كسب أيدينا وهو نوع من

---

(١) سالم مرزوق الطحيح ، البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق، ٢٠٠٣/٨/١٠م.
Available [online] (www.islamset.com).

(٢) تقرير التنمية في العالم ، التنمية والبيئة ، مؤشرات التنمية الدولية ،(واشنطن : البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، ١٩٩٢م) ، ص٥٢.

العقاب الدنيوي لعل الإنسان يتعظ من أفعاله ويطبق شرع الله وسنة رسوله في التعامل مع مورد هام من موارد البيئة فالماء سر حياة الإنسان وبه يحيا وبه يطعم .

ومن صور تنظيم علاقة الإنسان بالماء والنهي عن تلويثه ولو عن طريق أبسط صور التلويث وأقلها ضررا، فلقد نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن اختناث الأسقية[١] (أن يشرب من أفواهها) وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "أن يشرب من في السقاء أو القربه "[٢](وعاء من الجلد يكون للماء أو اللبن).وهو بذلك حريص على عدم نقل عدوى الأمراض من إنسان للآخر وهو ما تدعو إليه وسائل الإعلام والأجهزة الطبية والصحية بضرورة تخصيص كوب للفرد يشرب منه وذلك حتى لا تنتقل الأمراض عن طريق هذا الكوب وهذا ما نجده في البيئات الفقيرة حيث تنتشر أماكن " سبيل الماء " متخذة عدة أكواب أو كوبا يشرب منه المار والعابر المريض والصحيح وبالتالى تنتشر الأمراض الخطيرة والملوثات المتنوعة . ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان لا يشرب من كوب غيره إذا ضمن سلامته ، بل يشرب ولكنه يحرص على أن يكون الكوب نظيفا وأن من شرب قبله ليس بمريض أو عنده مرض معدٍ .

كما نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أن يتنفس الشارب في الإناء[٣]. فقد روى أبو سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهي عن النفخ في الشراب ، فقال رجل :إنى لا أروى من نفس واحد ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "فأبن القدح إذن عن فيك "[٤] (أى ابعده عن فمك) .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٦٠.
(٢) الإمام النووى ، رياض الصالحين ، مرجع سابق، ص ٢٣١.
(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ،ج٣ ، ص ١٠٢.
(٤) الإمام الترمذى ، مرجع سابق، ج٤ ، ص ٣٠٣.

وعدم التنفس في الكوب يعد نوعا من الحفاظ على هذا الماء دون تلويث حيث يخرج من الإنسان ثانى أكسيد الكربون الضار بالإنسان ويختلط بالماء عند عملية الزفير وبذلك يصبح الماء ملوثا ويعرف بذلك مدى حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يشرب الإنسان ماء نظيفا خاليا من الملوثات .

وقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى صون الماء وحفظ نقائه وطهره فقال (صلى الله عليه وسلم) غطوا الإناء وأكئوا السقاء[١] أى شدوا على أفواه الأسقية بالوكاء أى لابد من حفظ المياه وعدم تعريضها للهوام أو الهواء الخارجى وفي العصر الحديث توفرت لنا العديد من الأجهزة التي تحفظ لنا المياه صالحة ونقية في صورة جيدة وهي تطبيق علمى لأقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) سواء عرفوا الهدف أم لم يعرفوا وفي مقابل ذلك نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن شرب الماء الملوث فعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه –أن رجلا قال : القذاة أراها في الإناء ؟فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أهرقها "[٢] أى صبه فهو غير صالح للشرب ، وبذلك تدعو إلى البعد عن الماء الملوث لأنه يصيب الإنسان بأمراض شتى فالعديد من الأمراض المنتشرة في العصر الحديث ناتجة عن المياه الشرب الملوثة .

وإذا كان الحرص على نقاء الماء وطهره قد بلغ برسول الله (صلى الله عليه وسلم) حد تحريم التنفس والنفخ في إناء الماء فمال بال الذي يبول في الماء فيلوثه ويذهب بطهارته!! لقد نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذا الفعل الشائن بقوله :

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٣ ، ص ١٩٤.
(٢) الإمام الدارمى ، مرجع سابق، ، ج ٢، ص ٢١٦.

" **لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجرى ثم يغتسل فيه** "(١) وقد ذكر الماء الراكد لأنه أشد عرضه للتلوث وأكثر ضررا من الماء الجاري .ومن الأمراض الخطيرة التي انتشرت في فترة في مصر مرض البلهارسيا وهو مرض يرتبط بالبول والتبرز في المياه غير الجارية والترع والمصارف فيجد طور البلهارسيا البيئة المناسبة للعيش ثم تدخل جسم الإنسان عن طريق الاستحمام في الترع والمصارف وتصيب الإنسان بأمراض عديدة تصل إلى التخلف العقلي.

كما نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن التبول في الأماكن المكشوفة ومن ذلك الترع ومصادر المياه والحقول والمزارع وغيرها فقد روى ابن عباس (رضى الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه مر بقبرين يعذبان ، فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى في النميمة ."(٢)

وفي عصرنا الحالى لم يظل تلويث الماء قاصرا على تلك الأمور التي سبق ذكرها بل لقد استفحل الأمر فاصطحبت التكنولوجيا الحديثة ألوانا جديدة من الملوثات من نفايات المفاعلات وبقايا المصانع وغيرها وتحمل الإنسان راضيا مسئولية التخلص من هذه الملوثات في الترع والأنهار ومصادر المياه ضاربا بالآثار المترتبة على ذلك عرض الحائط غافلا عن الأضرار الحائقة به وبآله وبنيه من جراء ذلك صاما أذنيه عن كل ما جاء به الإسلام في هذا الصدد .

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١ ، ص ٦٩.
(٢) المرجع السابق ،ج٤ ، ص ١٩٦.

وفي حديث آخر يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " **اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الماء وفي الظل وفي طريق الناس** " (١) ، فالبراز في الماء ينتج عنه العديد من الأمراض كما أوضح الباحث سابقا وكذلك البراز في الظل وهو في حقيقة الأمر يؤدى إلى استفحال الميكروبات والجراثيم وتكيفها مع بيئة مناسبة فلو تبرز في الشمس لكان أخف وطئا لأن الشمس كفيلة بتطهير هذا البراز من الجراثيم كما التبرز في طريق الناس يعد مفسدة جمالية وصحية وبيئية ، فهل المسلمون ملتزمون بتعاليم الإسلام كما جاءت في السنة النبوية المطهرة في عدم إفساد موارد البيئة؟ بل الحقيقة غير ذلك فيرتكب الإنسان مخالفات شرعية كثيرة عندما يسمح الإنسان بضخ مياه المجاري الصحية غير المعالجة وهي مليئة بالمواد الكيماوية والعضوية والميكروبات الضارة إلى البحار والأنهار والبحيرات كما يرتكب الإنسان نفس المخالفة عندما يسمح بضخ مخلفات المصانع أيضا في البحار والأنهار متجاهل ضررها البالغ على الأحياء المائية وأهمية مياه هذه الأنهار للاستخدام الزراعى والاستخدامات المنزلية ، سلوكيات غير إسلامية ، وغير بيئية يرتكبها وهو في غفلة من أمر دينه .

ويتضح من كل ذلك أن السنة النبوية ربطت بين الإيمان بالنظافة والطهارة بالماء النظيف ، ومن أركان الإسلام الصلاة والحج وهما مرتبطان بالطهارة والنظافة بالماء الطاهر النظيف الخالى من أى ملوثات تلحق به وهذه العقيدة في السنة النبوية لأعظم تدريب لرعاية مصادر المياه من تلويثها والعناية والحفاظ عليها وتركها نظيفة ، ثم عناية الإسلام بالعلم والعلماء يعتبر أكبر دليل على حث الإسلام في السير قدما في الأبحاث العملية لجميع مصادر البيئة ومن بينها العناية بتنقية المياه وتحليتها ، وكذلك معالجة مياه الصرف

(١) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق،ج١، ص٢٧٣.

الصحي التي باتت مشكلة تهدد مدن بأكملها وسرعة التخلص منها وتدويرها واستغلالها في زراعة أنواع معينة من النباتات بعد معالجتها واستخدام الوسائل العلمية لهذا الغرض حتى تكون صالحة للإنسان الذي استخلفه الله سبحانه وتعالى وكرمه في البر والبحر وأعطاه كل مقومات الحياة لكي تستمر رحلة الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢-الأرض:

إن الأرض عنصر هام من عناصر البيئة غير الحية فمنها خلق الإنسان وفيها عاش ومن ثمارها أكل وعلى أرضها تكاثر ولقد بلغ اهتمام السنة النبوية بالأرض مبلغا كبيرا تدعو فيه لصلاح الأرض وحسن التعامل معها وألفة تدوم بين الإنسان والأرض وما بها من عناصر وقد وردت لفظة الأرض في كثير من الأحاديث النبوية عينة الدراسة بمسميات مختلفة ومنها : (الأرض) وردت هذه اللفظة في ثلاثمائة وواحد وسبعين موضعا في الأحاديث النبوية (أرض) وردت هذه اللفظة في ثمانين موضعا في الأحاديث النبوية ، (أرضنا) وردت هذه اللفظة في عشرة أحاديث نبوية ، (الطريق) وردت هذه اللفظة في خمسة وستين موضعا في الأحاديث النبوية .

والأرض خلقت مع خلق السموات فيقول الله تعالى : ويقول

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾

[الأنبياء : ٣٠]

ألم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السماوات والأرض كانتا شيئا واحدا ملتصقين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض كما هي ؟ قال الحسن وقتادة: كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات(١).

والأرض هي مهد استخلاف الله تعالى لآدم ليكون خليفة فيها ومن مقتضى حكمة الاستخلاف أن يكون الإنسان قادرا على تعمير الأرض وأن تكون الأرض مستعدة للتغيير الذي تستهدفه عملية التغيير ثم هداية الإنسان إلى الكيفية التي يحقق من خلالها هدف استخلاف الله له في الأرض والأرض مستعدة لقبول هذا التغيير.

ولقد رسمت السنة النبوية شروطا يتحقق من خلالها هدف استخلاف الله له في الأرض وذلك وفقا للأسس التالية :-

١- الأمر بالعمل والانتشار في الأرض وتكسب الرزق فقد روى "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له"(٢).

٢- التنسيق بين أداء الفرائض وبين السعى وطلب الرزق فقد روى "عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عبدالله بن عمرو ذات يوم وكانت امرأة تلطف برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أنت يا أم عبدالله قالت بخير بأبي أنت يا رسول الله وأمي فكيف أنت قال بخير قالت عبدالله رجل قد تخلى من الدنيا قال وكيف قالت حرم النوم فلا ينام ولا يفطر ولا يطعم اللحم ولا يؤدي إلى أهله حقهم قال فأين هو قالت خرج .... قال فإذا رجع فاحبسيه قالت فخرج رسول الله صلى

---

(١) الإمام القرطبى ، مرجع سابق، ج ١، ص٢٥٧.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٢٤٠.

الله عليه وسلم وجاء عبدالله فأوشك رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة وقال يا عبدالله بن عمرو ما هذا الذي بلغني عنك قال وماذا يا رسول الله قال بلغني أنك لا تنام ولا تفطر قال أردت بذلك الأمن من يوم القيامة وبلغني أنك لا تطعم اللحم قال أردت بذلك طعاما خيرا منه في الجنة قال وبلغني أنك لا تؤدي إلى أهلك حقهم قال أردت بذلك نساء هن خير منها في الجنة قال يا عبدالله بن عمرو إن لك في رسول الله أسوة حسنة فرسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ويفطر وينام ويقوم ويأكل اللحم ويؤدي إلى أهله حقهم يا عبدالله إن لله عز وجل عليك حقا وإن لبدنك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا قال يا رسول الله تأمرني أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوما قال لا قال فأصوم أربعة أيام وأفطر يوما قال لا قال فأصوم ثلاثة أيام وأفطر يوما قال لا قال فاصوم يومين وأفطر يوماقال لا قال أفأصوم يوما وأفطر يوما قال ذلك صوم أخي داود "(١). والمعنى في مجمله هو الرعاية البدنية للإنسان وليس الإسلام دين تعذيب وحرمان بل دين الوسطية والاعتدال فقد وازن بين المتطلبات الشخصية للإنسان ومتطلباته الدينية في نسق بالغ الدقة يؤدى إلى تربية بيئية بمعناها المعروف.

٣- إن الإسلام لا يمانع في طلب الرزق بل إن الإسلام لا يجد خيرا في انقطاع الإنسان للعبادة وقعوده عن السعى في طلب الرزق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ثم كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال فإما ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم وإما أرسل إلي فأتيته فقال لي ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فإن لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا ولجسدك

---

(١) الإمام أبو بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ، مرجع سابق، ج٧، ص ٢٣٩.

عليك حقا قال فصم صوم داود نبي الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان أعبد الناس قال قلت يا نبي الله وما صوم داود قال كان يصوم يوما ويفطر يوما قال واقرأ القرآن في كل شهر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشرين قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل عشر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا ولجسدك عليك حقا قال فشددت فشدد علي قال وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم إنك لا تدري لعلك المطلوب بك عمر قال فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم(١)

إذن فالإنسان خليفة الله في أرضه والعلاقة بين الإنسان والأرض ليست علاقة عابرة بل هي علاقة عضوية لأن الإنسان خلق من هذه الأرض ومن أشكالها المختلفة تلون بها وظهرت الأجناس المختلفة مثل النباتات.

فمن المعروف أن للتربة والبيئة أثرا قويا على صفات النبات الطبيعية والكيماوية فمنه الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ومنه الحلو والحامض حتى وإن زرعت جميعها في بقعة واحدة وسقيت بماء واحد فالأحياء المختلفة تحتاج إلى عناصر معينة لغذائها وبالتالى تتأثر بها ألوانها ولعل سر؟ إعجاز هذه الحقائق القرآنية يرجع إلى إخراج ثمرات مختلفة الألوان بالرغم من أن شجرها يروى بماء واحد هي مادة متجانسة التركيب أصل معينها باطن الأرض.

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٢ ، ص٨١٤.

وكذلك اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطف التي تنشأ منها وإنما هي دقائق وأسرار فالخصائص الوراثية تحافظ على فطرة الأشياء واستمرارها وأحق الناس بخشية الله العلماء الذين أوقفهم الله على هذه الأسرار

وإذا كانت الاختلافات اللونية تمثل مظهرا من مظاهر قدرة الله في الأرض وآية تدل على واحدانيته وتفرده فيكل شيء فهناك مظهر آخر من مظاهرها لا يقل في مجال الإعجاز عن سابقه ألا وهو اختلاف خواص تلك البقاع من حيث صلاحيتها للإنماء والإنبات ونستأنس لذلك بحديث رسول الله - ﷺ-فضلا عن الآيات المتقدمة - عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله -ﷺ - : إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت طائفة منها أخرى إنما هي قيعان (أرض لا نبات فيها) لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " (١).

كما تعتمد التوجهات في السنة النبوية في علاقة الإنسان واستخدامه للأرض على أسس ثلاثة هي :

١. الدعوة إلى تعمير الأرض وإحيائها .
٢. صيانة الطرق وإماطة الأذى عنها
٣. النهي عن إهمال الأرض والإساءة إليها .

وتفصيلها كالتالي :

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج١ ،ص ٤٢.

١. الدعوة إلى تعمير الأرض وإحيائها :

إن الدعوة إلى تعمير الأرض والانتشار في بقاعها بهدف التماس الرزق والعمل لتظهر واضحة في التربية الإسلامية فالله قد مهد الأرض وجعلها صالحة للحياة ليعمرها بنو البشر بالزراعة والرعى وتربية المخلوقات النافعة

فيدعو الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى السعى في الأرض قائلا :" التمسوا الرزق في خبايا الأرض"(١) كما دعا إلى إحياء الأرض وزراعتها فيقول : من كانت له أرض فليزرعها " (٢) وهو يحبب إلى المسلمين أن يتجهوا إلى علاج مشكلاتهم البيئية فيعمدوا إلى الأرض الموات ليحيوا مواتها ويستثمروا خيراتها ولهم إلى جانب الاستفادة من خيراتها ثواب وأجر عظيم في الدنيا والآخرة أما الأجر في الدنيا فهو امتلاك تلك الأرض فقد قال **(صلى الله عليه وسلم) " من أحيا أرضا ميتة فهي له وقال أيضا (صلى الله عليه وسلم) " من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق"**(٣).

لذلك كان من الواجب على كل مسلم أن يلتزم بهذه الدعوة ويحرص على تنفيذها ولو يعلم المسلمون ما أعد لهم في إحياء الأرض ما ترك المسلم بقعة من الأرض دون إحياء رجاء الثواب المدخر عن الله "(٤).

ويستنتج مما سبق أن السنة النبوية تدعو بقوة إلى تعمير الإرض وصلاحها وفي دعوتها هذه دعوة للتنمية الشاملة مع الحرص على سلامة البيئة أي الموازنة بين متطلبات التنمية ومتطلبات البيئة بحيث لا يتعارضان بل يمشيان في طريق واحد دون إضرار وخلل .

---

(١) الطبراني ، مرجع سابق ، ج١، ص ٢٧٤.
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ،ج٣ ، ص ١٧٦.
(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق ج٣ ، ص ١٣٩-١٤٠
(٤) محمد عبد المنعم الجمال ، موسوعة الاقتصاد الإسلامي ودراسات مقارنة ،(القاهرة : دار الكتاب المصري ،١٩٨٠) ، ص ١١.

كما أن الأرض بها أرزاق كافية لحياة الإنسان فالبيئة جعلت مجالا لحياة الإنسان يطلب فيها استمرارها ونموها ويطلب منه القيام فيها بمهمة الخلافة لو كانت في تركيبها أو في أنظمتها غير كافية لتلبية طلبه وتحقيق المطلوب منه بوجه من الوجوه لأصبحت في تصور الإنسان قليلة الشأن عديمة القيمة ،إذ كيف يكون وجود البيئة من أجل حياة الإنسان ثم هي لا تكفي مقدراتها لقيام تلك الحياة ؟ وكيف يُطلب منه أن ينجز عليها مهمة وجوده وهي لا تفي بمتطلبات تلك المهمة ؟ ، ولكن التصور النبوي يقوم على تقدير البيئة بهذا الخصوص على خلاف ذلك ،إذ يستقر فيه أن البيئة التي وجدت لأجل الإنسان كي تستمر حياته وتنمو وكي ينجز ما كلف به من مهمة في تلك الحياة إنما قدرت في كمها وكيفها على هيئة من الكفاية الدائمة لتلبية مطالب الحياة والقيام بمهمة الوجود مهما يتقدم الإنسان في طلب تلك المطالب وفي إنجاز تلك المهمة (١)

١. صيانة الطرق وإماطة الأذى عنها :

اتجهت السنة النبوية إلى إثارة الوعي بأهمية العناية بالطرق وصيانتها باعتبارها جزء من الأرض التي تمثل عنصرا هاما من عناصر البيئة الطبيعية غير الحية وحتى لا يفاجأ الذين يسلكونها بما يسبب لهم الإيذاء والضرر.

وفي ذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **"إياكم والجلوس بالطرقات " فقالوا : ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال : فإذا أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"**(٢).

---

(١) عبد المجيد عمر النجار ، مرجع سابق ، ص ١٤٣.
(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق ج٢، ، ص ٨٧٠.

ولقد عظم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من فضل إماطة الأذى عن طريق الناس حيث يقول " " عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها ، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن" (١) فاعتبر رسول (صلى الله عليه وسلم) إماطة الأذى عن طريق الناس من محاسن أمة المسلمين على حين اعتبر الإساءة إلى أرض المسجد بعدم دفن النخامة فيه من مساوئ الأعمال.

بل لقد اعتبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه الأعمال الحسنة من الصدقات التي يثاب فاعلها إذ يقول :" في الإنسان ثلثمائة وستون مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة ، قالوا ومن يطيق ذلك يا نبى الله؟قال: النخامة في المسجد تدفنها والشيء تنحية عن الطريق (٢).

كما روى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاة فحكها ثم قال: "إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبزق عن شماله أو تحت قدمه اليسرى" (٣) وقال(صلى الله عليه وسلم) بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له ، فغفر له "(٤) كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيضا " على كل نفس في كل يوم طلعت عليه الشمس صدقة منه على نفسه ، قيل يارسول الله من أين يتصدق وليس لنا أموال ؟ قال : إن من أبواب الصدقة : التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله واستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر." (٥).

---

(١) المرجع السابق ،ج١، ص١٦١.
(٢) محمد بن إسحاق بن خزيمة ،مرجع سابق ،ج٢ ،ص٢٢٩
(٣) الإمام القزويني ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٥١.
(٤) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج ٤ ص ٢٠٢١.
(٥) السيد سابق ، مرجع سابق،ج١، ص ٣٥٨.

ومن جملة الأحاديث السابقة يتضح لنا أن إماطة الأذى بكل أشكاله المادية والمعنوية عن الطريق عبادة وفرض عين على كل مسلم فالأذى هنا يشمل كل ما يضر بالطريق ويشوه جماله ونظافته أو يتسبب في وقوع حوادث الطرق أو الإرباك المروري أو غيرها من الأضرار التي تلحق بالطريق ومستخدميه فمثلاً إلقاء الزجاجات الفارغة والمخلفات من أوراق وغيرها في الطريق يعتبر نوعاً من الأذي وإشغال أرصفه الطرقات وهي المخصصة للمشاة بما يحول دون استخدامها فيه أذي وضرر لأن هذا الأمر قد يجبر المشاة أن يسيروا في عرض الطريق مما يعرضهم للحوادث.

كما أن عدم الالتزام بتعاليم وقواعد المرور مما يتسبب في وقوع حوادث مرورية يتأثر بها أناس أبرياء يعتبر أذى فالسائق الذي يسير بسرعة جنونية غير عابئ بما تحدثه هذه السرعة من وقوع حوادث ، كثيرا ما تكون مميتة ، يرتكب مخالفة قانونية وشرعية في حق نفسه وحق الآخرين فالسرعة الجنونية دعوة للتهلكة والله ينهانا عن إلقاء أنفسنا في التهلكة يقول الحق تبارك وتعالى :

(.....وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾)

[البقرة : ١٩٥]

كما أن هذه السرعة الجنونية فيها إسراف شديد على النفس حيث يسيء استخدام نفسه والسيارة التي يمتلكها معاً ويقتضي واجب الملكية في الإسلام كما سبق أن بينا حسن استخدامها وصيانتها وصلاحها كما يدعونا الإسلام إلى الاعتدال في السرعة حتى ولو كان سيرا على الأقدام يقول الحق تبارك وتعالى :

(وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩)

[لقمان: ١٩]

فالاعتدال في السرعة هو حد الإسلام ، حد الاتزان وهو الحد الذي ستؤجر عليه لأنك بذلك تميط أذى عن الطريق بسرعتك المعتدلة المعقولة كما أن الأضرار بالطريق والتسبب في الحوادث يتنافي مع قواعد الإسلام الراسخة فالطريق ليس ملكاً لك تعبث فيه كيفما تشاء ومن رحمة **الله** عليك أنك ستؤجر في إماطة الأذى عن الطريق وتنجو من عقاب **الله** سبحانه وتعالى الذي توعد به المفسدين والمسرفين في الأرض، كما أن هناك فئة من الناس مهمتها تخريب ممتلكات الدولة بدعوى إنها ملك الجميع وفي هذا مفهوم خاطئ حيث تبرز مدى الجهل بقواعد الإسلام وتعامله مع الموارد البيئية والمرافق العامة برفق بمبدأ المشاركة العامة والتكافل .

١. النهي عن إهمال الأرض والإساءة إليها :

تضمن السنة النبوية في محتواها نهيا عن إهمال الأرض والإساءة إليها ومن ذلك أن رسول **الله (صلى الله عليه وسلم)** قد نهي عن إهمال الأرض وتركها بدون زراعة وتوعد من يفعل ذلك بنزعها منه فقد قال **(صلى الله عليه وسلم)**" من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها قوم آخرون فهم أحق بها واشترط **(صلى الله عليه وسلم)** أن يأذن الحاكم بذلك منعا للظلم وحسما للخلاف "(١).

وذلك لأن الإسلام يحث الناس على التوسع في العمران والانتشار في الأرض وإحياء مواتها ، حتى تكثر ثرواتهم ويتوفر لهم النماء والرخاء فيتحقق له المنعة والقوة .

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٩٤.

ولقد نهي الإسلام عن سرقة الأرض واغتصابها واعتبر ذلك بابا من أبواب الظلم فالذين يأكلون من الطرق الخاصة أو العامة في المباني أو المزارع أو يأخذون من الجسور أو من شواطئ الأنهار والذين يغيرون معالم الضياع أو أراضى البناء ويزحزحون حدودها عن أماكنها كل أولئك ظلمة غصبة وفي ذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين "(١)، وهذا يعالج كثير من المشكلات التي يعاني منها المجتمع حاليا من اغتصاب أراضي الغير أو اغتصاب أملاك الدولة أو اغتصاب الأراضي الموقوفة .

ومن أوجه الظلم في الأرض أيضا ما يُزال من طبقتها الخصبة بالتجريف لما يسيء إلى الأرض ويفقدها خصوبتها وقد تنبه المسلمون الأولون إلى خطورة هذا الفعل الظالم فنهي عنه صحابة رسول الله وخلفاؤه وكان مما جاء في ذلك قول عمر بن الخطاب "لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمتها في وجهها "(٢) وهذا ما يعانى منه المجتمعات الزراعية في وكذلك بغرض البناء على هذه الأرض وبذلك أنهكها فلا تصلح لزراعة وغرس بل أصبحت أرضا فقيرة بالمخصبات وهو ما حذر منه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

ومن صور الإساءة إلى الأرض التي نهي الإسلام عنها إلقاء القاذورات بالطريق وعدم رفعها عنه لما يترتب على ذلك من أضرار بالغة بالصحة العامة وجلبا للأمراض والأوبئة وتشويها للمنظر العام وضياعا للنظافة التي اتسم بها المسلمون .

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ،مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٢٣١.
(٢)محمد رضا ، الفاروق عمر بن الخطاب ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ،ص ٦٦.

لذلك نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن التغوط في الطريق حيث قال "اتقوا اللاعنين "قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم "(١). لما في ذلك من إساءة للمكان نفسه ومن إيذاء المتواجدين فيه .

ويضاف إلى ما سبق تلويث الأرض بالبصاق فقد اعتبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم)من مساوئ أعمال أمة المسلمين إذ يقول " ووجدت من مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد ولا تدفن "(٢) ورغم أن الحديث ذكر أرض المسجد إلا أنه ينسحب على كافة طرق المسلمين وأراضيهم حيث يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم)" وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا"(٣) ، هذا عن البصاق فما بالنا بإلقاء المخلفات للمصانع والمجاري في الطرقات ومصارف المياه وكذلك أكوام القمامة المنتشرة بقوة في الشوارع نتيجة لعدم الفهم الديني لمضار هذه القمامات وتشبههم باليهود الذين كانوا يجمعون القمامات في ديارهم .

ولقد أعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)القدوة الصالحة في سلوكه القويم حيث بلغ من حرصه على نظافة تلك الأماكن التي خلقها الله نظيفة طاهرة أنه كان يقوم بنفسه بإزالة القذر عنها ، فعن عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)رأى جدار القبلة مخاطا أو بزاقا أو نخامة ، فحكه"(٤) .

---

(١)محمد بن عبد الله النيسابوري ،المستدرك على الصحيحين ،مرجع سابق، ج١، ص٢٧٣.
(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري،مرجع سابق ،ج١ ، ص١٦١.
(٣) المرجع السابق ، ج١ ،ص ١٢٨.
(٤) المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٥٩.

علاقة الإنسان بالأرض هي علاقة بر ورحمة ، والبر علاقة تبادلية بين الإنسان وبيئته فالأرض بارة بالإنسان وعندما أرادت مشيئة الله أن يكون أول الخلق آدم عليه السلام قطعة من ترابها .

والأرض بارة أيضا بالإنسان عند مماته بالبكاء والحزن عليه وخاصة المؤمن الصالح الذي لم يسع فيهما فسادا فقد روى " عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فإذا مات فقداه فبكيا عليه ... فما بكت عليهم السماء والأرض يعني أنهم لم يعملوا على الأرض عملا صالحا تبكي عليهم لأجله ولا صعد لهم إلى السماء عمل فتبكي فقد ذلك وقال مجاهد إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحا قال أبو يحيى فعجبت من قوله فقال أتعجب وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء وتقديره الآية على هذا فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض وهو معنى قول سعيد بن جبير وفي بكاء السماء والأرض "(١) .

والإنسان يكون من ناحيته بارا بالأرض بحبه وارتباطه بها وبمكوناتها وتفضيلها على غيرها وكما شوهد من موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حينما وقف على مشارف مكة يوم الهجرة قائلا " **اللهم إنك أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إليّ ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت** "(٢) .

---

(١) الإمام القرطبى ، مرجع سابق، ج ١٦، ص١٣٩.
(٢) المرجع السابق ، ج١٦، ص ٢٣٥.

والإنسان بار بالأرض حين يستمتع بنعمها من غير استغلال أو تخريب أو عدوان بل ساعٍ فيها ليأكل من كد يده ومما رزق الله بغير ظلم للناس أو عدوان على الطبيعة فالإنسان من نظر السنة النبوية من خلال تعامله مع الأرض مأمور بألا يقطع شجرا أو يخرب عامرا أو يحرق نخلا أو يغرقه وهذا مع الجماد والنبات .

ج- الهواء :

وردت في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي توضح للمسلمين أهمية الهواء في حياتهم في حدود ما بلغه علمهم آنذاك ولقد اهتمت السنة النبوية بالهواء وعبرت عنه بالرياح والريح فلفظة (الريح) وردت في سبعة وثلاثين موضعا في الأحاديث النبوية و(الرياح) وردت في ثلاثة مواضع من الأحاديث النبوية .

ولقد أشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إلى أهمية الهواء في حياة الإنسان وإلى ضرورة حرصه على تحسين وتنظيم علاقته به وعدم الإساءة إليه حيث يقول (صلى الله عليه وسلم):" الريح من روح الله ، تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب ،فإن رأيتموها لا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها "(١) .

وبالرغم من أن مفهوم التلوث عامة لم يكن قد اتضح بعد إلا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)كان يدعو إلى تغطية الأطعمة منعا لسقوط الحشرات أو الهوام بها وحرصا على عدم تلوثها ونفس الأمر بالنسبة للشراب ،فكان (صلى الله عليه وسلم)يقول:"غطوا الإناء وأوكئوا السقاء"(٢) وكما يتجنب المسلمون الطعام والشراب الملوثين فالواجب أن يحرصوا على تجنب الهواء الملوث أيضا بأن يعملوا على إزالة كل المسببات لتلوث الهواء باختلاف

(١) ابن حبان ،مرجع سابق، ج١٣ ، ص٣٩.
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، ج٣ ، مرجع سابق، ص ١٥٩٤.

أنواعها فيبعدوا بمصانعهم عن التجمعات السكانية ويصلحوا من أمر مركباتهم ليمنعوا عوادمها التي تنفث السموم في الشوارع الآهلة بالمارة والمشاة وذلك حتى لا يستنشق الناس هذا الهواء الملوث فيصابوا بأمراض الصدر والرئة وغيرها فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لا ضرر ولا ضرار، من ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه"(١)

كما تعتمد التوجهات في السنة النبوية في علاقة الإنسان بالهواء ومن أهم هذه الأسس هو :

النهي عن تلويث الهواء :

إن الهواء ضرورى لحياة الإنسان وأى خلل في هذا الهواء وكمية الأكسجين الموجودة به هو خلل في حياة الإنسان يؤدى به إلى الأمراض بل إلى الهلاك في كثير من الحالات ومن مظاهر هذا الخلل ما يلى :-

التدخين من الملوثات التي تنتشر في الهواء وأخطرها التدخين السلبى وهو ينتشر عن طريق الهواء ولقد أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالبعد عن مصادر الرائحة الكريهة فما بالك بالرائحة الناتجة عن التدخين السلبى والتي تصيب الإنسان بالأمراض المختلفة ومما يؤكد هذا القول ما جاء في تفسير القرطبى في البعد عن الرائحة الكريهة ما روى عن "ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة تبوك من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يأتين المساجد وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل من هذه البقلة الثوم وقال مرة من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين ولا أراهما

(١) أحمد عمر هاشم ، قبس من الحديث النبوي ، (القاهرة : دار المنار، ١٩٨٥) ، ص ٢٠٩.

إلا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد ريحهما من رجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع فمن أكلهما فليمتهما طبخا خرجه مسلم في صحيحه قال العلماء وإذا كانت العلة في إخراجه من المسجد أنه يتأذى به ففي القياس أن كل ما يتأذى به[١] الإنسان من ملوثات هوائية يتعرض لها لابد من منعها على قياس الروائح الكريهة الناتجة من البصل والثوم فما بال الإنسان وهو يعلم أن ضرر التدخين ليس بالرائحة فقط بل يتعداه إلى الأمراض ورغم التحذيرات واللافتات التي تكتب على علب السجائر بأن(التدخين ضار جدا بالصحة) وكذلك عبارة (التدخين يؤدى إلى الوفاة) إلا أنه لم يتب ولم يرتدع عن فعل هذا الضرر.

كما أن الإنسان يدرك تماما مدى التطور التكنولوجي الحادث في هذا القرن والمصانع الناتج عنها ملوثات قد تصيب الإنسان بملوثات وأمراض لا علاج لها وبرغم ذلك فهو يتمادى في فعل هذه الملوثات.

وحماية الهواء من التلوث أو الإفساد من وجهة نظر السنة النبوية ، يعد أمرا ضروريا فالهواء هو سر من أسرار حياة الإنسان فمنه نحصل على الأكسجين اللازم لحياتنا فكيف بهذا الاحتياج وهو ملوث بالكثير من المواد التي تضر بالمتنفسين في أثناء عمليتى الشهيق والزفير.

ومن صور ملوثات الهواء التقليدية والتي عالجتها السنة النبوية الأوبئة النابعة من المستنقعات الموجودة في الكثير من مناطق البلدان النامية فهذه المستنقعات لم تعد ملوثا مائيا فقط بل هي أيضا ملوث هوائى فهي تزكم الأنوف وتجعل من الحياة كآبة وضيقا واختناقا .

---

(١) الإمام القرطبى ، مرجع سابق، ج١٢، ص٢٦٧.

فكثيرا ما نسمع عن الاختناق الناتج عن فتحات الصرف الصحى نتيجة الغازات الناتجة عن هذه المصارف فقد أمر الرسول الكريم في غير حديث بتغطية الإناء في الليل وكذلك الأسقية " **وأوكئوا الأسقية وخمروا الشراب وأغلقوا الأبواب**(١) فمابالك بغطاء فتحات الصرف الصحى والتي تصيب الإنسان بملوثات ليست بقليلة بل أحيانا مميتة وعلى قياس تغطية أوانى الشرب فمن باب الأولى تغطية فتحات المجارى والمصارف في الطرقات وذلك للحفاظ على حياة الإنسان سواء من الغرق في هذه المجارى الصحية أم الموت خنقا من الغازات الناتجة عنها .

ومن المشكلات تلوث الهواء والتي قامت السنة النبوية بوضع حل جذرى لها هو زيادة كمية التلوث في الهواء وما ينتج عنه من زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون وقلة الأكسجين وهي ناتجة من المصانع الضخمة وأنابيب البترول وحرائق البترول وغيرها ولكن الحل لهذه المشكلة لن يتم بإيقاف ضخ البترول أو إغلاق المصانع بل باستزراع شجيرات كثيفة تعتبر مصدات لهذه الملوثات كما أنها تنقى الجو عن طريق عمليتى البناء الضوئى والنتح ودعوة الرسول للزراعة دعوة أكيدة بل هي مهمة لحياة الإنسان فيقول (**صلى الله عليه وسلم**) " **من كانت له أرض فليزرعها**"(٢) " وما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة "(٣) وقد قال (**صلى الله عليه وسلم**) : " **إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها**"(٤) ودعوة الرسول للزراعة إنما هي دعوة لتنقية الهواء من الملوثات الكثيفة التي نشعر بها .

---

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق، ج١ ن ص٢٩٧.
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، ج٣ ، مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٣) المرجع السابق ،ج٣ ، ص١٨٨.
(٤) أبى بكر الهيثمي ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٦٣.

ومن هنا تأتي أهمية زراعة الأشجار والنباتات الخضراء أو عمليات التشجير في الطرق والشوارع والميادين كوسيلة لمقاومة تلوث الهواء بغاز ثاني أكسيد الكربون المتصاعد بكثرة من أدخنة المصانع وعوادم السيارات بخلاف عمليات التنفس لجميع الكائنات الحية .

ونستخلص من جملة الأحاديث السابقة دعوة **الرسول الكريم** في الحفاظ على حياة الإنسان وذلك بمنع تلويث الهواء سواء عن طريق المصانع أم عن طريق الإنسان نفسه كما أن زيادة السكان مع زيادة الملوثات تؤدى إلى ضياع المجتمع وإصابته بالعديد من الأمراض التي تعوق نموه وتجعله متخلفا في صفوف الأمم العاطلة ما لم تطبق مبادئ التربية البيئية في السنة النبوية ، وعلى الرغم من دعوة النبي **(صلى الله عليه وسلم)** منذ فترة بعيدة أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان لعدم التلوث الهوائي وهي فترة لم يعرف فيها الإنسان المواد الكيميائية ولا المبيدات الحشرية والمنظفات الصناعية والمخصبات الزراعية إلا أنها يجب تطبيق مبادئ السنة النبوية من أجل الحفاظ على الهواء وتنقيته وخاصة بعد ما وصلت البشرية إلى مرحلة الانفجار السكاني حيث وصل تعداد البشر إلى المليارات وأدى إلى وصول كثير من المدن لدرجة الاختناق .

خاتمة :

إن القارئ للسنة النبوية يتبين في عرضها للعلاقة بين الإنسان والبيئة أن الطرفين يرتبطان في وجودهما بوحدة قوية وليسا بحال من الأحوال أمرين منفصلين عن بعضهما أو مضادين لبعضهما ، فالإنسان واحد من الموجودات البيئية الكثيرة وهو وإن كان يتصف بالتفرد في نوعه فرادة متميزة عن فرادة غيره من الأنواع ، إلا أنه يندرج ضمن سائر المكونات البيئية الكثيرة ويتحد معها كلها ليشكل الجميع الهيئة البيئية الكبرى مفردات وأنظمة في انسجام وتوافق لا يكون فيه أي نوع منها بما في ذلك الإنسان غريبا عن مجموعها وكأنما هو قادم إليها من خارجها وخاضع لطبيعة غير طبيعتها ، بل الجميع مشمول بنفس الطبيعة خاضع لنفس النظام مهما يكن من ترتبها ترتباً قيمياً في درجات أعلى درجة منها يحتلها الإنسان لخصائص تكوينية فيه تميز بها عن غيره من كائنات البيئة ولكن في نطاق الوحدة الشاملة للجميع .

ولما يقع في التصور النبوي بعامل الشعور بالوحدة مع البيئة أن هذه البيئة كائن يشبهه في صفات الحياة ، فإن من ذلك ينفسح مجال واسع لروابط شعورية ذات بعد أخلاقي ، إذ ستنشأ في الإنسان مشاعر إزاء البيئة تمتلئ بمعاني الأخوة والقربى وما يتبعها من معاني الرأفة والرحمة واللين .

وهذه المشاعر الأخلاقية التي تحدث في الإنسان إزاء البيئة لمن شأنها أن توجه سلوكه البيئي توجيها أخلاقيا بحيث يكون هذا السلوك عاملا على حفظ الحياة البيئية في عناصرها وأنظمتها وتنميتها في سبيل البقاء والعطاء ، وصيانتها من الدمار بجميع مظاهره بالإضافة إلى أن هذا التصرف الأخلاقي تقتضيه الوحدة الوجدانية ، فإنها تقتضيه أيضا وحدة المصير .

كما أن التربية البيئية واجب مقدس على كل مستخلف فيها ، وليست توصية في مؤتمر تنتهي بانفضاض المؤتمرين ولا صيحة دوى بها صوت عالم رغم قوة حجته ووضوح بيانه فإنه يصل خافتا ويتهاوى مع الأنانية والمصلحة الفردية لأمة على حساب باقي الأمم بل هو تشريع إلهي ملزم به خلقه يحاسبهم على تركه أو إهماله ، لأن البيئة بآياتها المختلفة هي من خلق الخالق الذي خلق كل شيء وقدره تقديرا وذلك كما وضح من تحليل الأحاديث النبوية السابقة .

وعلى ذلك فقد أكدت السنة النبوية أهم أسس تنظيم علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية بعناصرها الحية وغير الحية فكانت حريصة على أن تبلغ بهذه العلاقة أعلى درجات التعقل والرشادة انطلاقا من حرصها على سلامة البيئة الطبيعية وصون عناصرها ليستمر عطاؤها ويعم نفعها الناس جميعا في الحاضر والمستقبل ، وانطلاقا من رغبتها في حماية البيئة الطبيعية من اعتداءات البشر الذين قد يسيئون إليها بشتى طرق وصور الإساءة ، وهم بغفلتهم إنما يسيئون إلى أنفسهم ويحرمونها من التمتع بالطيبات التي أحلها الله لهم .

وقد اهتمت السنة النبوية في توجهها نحو علاقة الإنسان بعناصر بيئته الطبيعية وتعريفه بعناصرها الحية وتعميق إدراكه وإحساسه بها وتنظيم هذه العلاقة وذلك لما تتسم به طبيعة التنظيم عامة من العملية والتطبيق ، وهذا أمر منطقي لأن السنة النبوية كانت تطبيقا عمليا وتوضيحا وتفصيلا لكل ما اشتملته وأجملته آيات القرآن الكريم ، وقد تأكد ذلك في ثنايا هذا الفصل من البحث .

وتعد هذه التوجهات النبوية نحو علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية الدعائم الثابتة لتربية بيئية إسلامية ، والمبادئ الأساسية للتربية البيئية في الإسلام والمستمد تطبيقها

من السنة النبوية ، وهي تؤكد على أن السنة النبوية لم تكن بمعزل عن الجانب المادي في حياة المسلمين ولا عن البيئة الطبيعية وعناصر الكون المحيطة بهم .

كذلك في التصور النبوي لعلاقة الإنسان بالبيئة من شأنه أن يفضي إلى موقف سلوكي من البيئة يقوم على القوامة والرعاية ، فالبيئة مهيأة للإنسان من أجل أن تكون مسرحا صالحا يؤدي عليه وظيفته في الحياة وأن هذه التهيئة مقدرة بحسب ما تقتضيه تلك الوظيفة وحينما تكون هذه الوظيفة هي الخلافة في الأرض فإن التمثل لهذا المعنى سيجعل الإنسان متصرفا في البيئة بالاستهلاك من مقدراتها بما يكفي للقيام بما كلف به من مهمةدون أن يكون له في ذلك زيادة .

كما أن علاقة التسخير البيئي كعنصر من عناصر علاقة الإنسان بالبيئة بالمفهوم الذي بيناه انفتاحا للبيئة على الإنسان بالعطاء كما وكيفا من أجل إنجاز مهمته في الحياة انفتاحا مشروطا بالطلب الساعي منه وليس انفتاحا مجانيا هي علاقة حينما يتمثلها الإنسان فإن من شأنها أن توجه سلوكه إزاء البيئة توجيها يكون فيه سلوكا عدلا وهذا ما لحظه الباحث في هذا الفصل في علاقة الإنسان بعناصر البيئة الحية وغير الحية في ضوء السنة النبوية إذ لا يمكن أن تتم الخلافة إلا بالتعمير الذي يستلزم قدرا من الاستهلاك محدود بحدود وظيفة الخلافة وما قدر لها في التسخير من مقادير ، دون أن يكون مسترسلا مع الشهوات بحيث يرهق تلك المقادير فيحدث فيها الخلل في عناصرها وتوازنها .